أولاً: قسم التفسير وعلوم القرآن

ويشتمل على البحوث التالية:

١- الأحرف والقراءات

٢- أحكام النساء في ضوء سورة البقرة

٣- ابن أبي الحديد مفسرا

٤- الشورى في القرآن

٥- علل الوقف بين النحاس

الأحرف والقراءات والمعجزات
من كتاب المدخل للجابري

قراءة تحليلية

(دراسة نقدية في التفسير وعلوم القرآن)

د. مجتبى محمود عقلة بني كنانة

جامعة نجران، كلية الشريعة، قسم أصول الدين.

السعودية، نجران، حي العريسة، ت:٠٥٥٠٣٧٤٦٣٩

١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

الملخص:

يهدف البحث إلى تجلية عامة لأسلوب الحداثيين ومنهجهم في التأليف، في مختلف الفنون الإسلامية، وتوضيح غايتهم من ذلك وهي فصل الأمة عن تراثها، باستخدام المنهج التشكيكي المعتمد على تفكيك النصوص، وإعادة النظر في الثوابت. وتناول البحث محمد عابد الجابري وكتابه مدخل للقرآن الكريم كنموذج لذلك، وهو حداثي، تميز بأسلوب خاص، يتمثل بحسن العرض البياني مع دقة الاستدلال، وهو نموذج لمنهج قائم، يسعى سعياً حثيثاً لترسيخ العلمنة في المجتمع الإسلامي، من خلال تشكيك الناس على مختلف المستويات في المجتمع الإسلامي بثوابتهم.

التوصيات: أولا: تجنيد علماء، يجلون مخطط الحداثيين، لتوعية أفراد الأمة ضد هذه الهجمة . ثانيا: القيام بإحصاءات وافية لدراسات هؤلاء في كل المجالات، ومن ثَم معرفة مصدرهم الفكري، والرد على دراساتهم بمنهجية واحدة متكاملة.

Abstract

The research aims to shed light on a general method for modernists and their approach to authoring , in various Islamic arts , Isolate the nation from the Heritage via cylinder approach doubt. using the method based on the dismantling of the texts , and to reconsider the constants . Find eating modernist Mohammed Jabri The book: "Introduction to the Qur'an as a model for the piece , it is a modern , excellence in a manner particular , is in good graphical display with a resolution of reasoning , a model -based approach , seeks actively seeking to establish secularism in the Muslim community , through questioning people at different levels in the Muslim community. Recommendations : First, recruiting scientists , revere scheme

modernists , to educate members of the nation against this attack . Second: do adequate statistics for studies in each of these areas , and then their source of intellectual knowledge , and to respond to their studies and a single integrated methodology.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

وبعد .

فإن الهجمة على الإسلام من أعداء الله مستمرة لم تنقطع يوما، غير أنها تأخذ صوراً متعددة، لذلك فإن ما يفعله بعض الحداثيون [١] اليوم لا يختلف كثيراً عما فعله ابن السوداء الذي قال لأفعلنّ في الإسلام ما فعله بولس في النصرانية[٢]، فأشد ما يفت في عضد الأمة الفتنة، فما زالت فتنة ابن سبا إلى اليوم، أما الحداثيون فإنهم لا يتركون مجالا فيه فتنة وتشويش على المسلمين إلا خاضوا غماره، وما ذلك إلا لأنهم أضاعوا هويتهم بتتبعهم أهوائهم، ورغم أن نتائج ما يصبون إليه بطيئة، إلا أن ذلك لا يفت في عضدهم، هذا لأنهم جند للشيطان الذي تحدى ربه أن يضل خلقه «لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً» [٣]، ومع علمهم بكل ما يواجههم من صعوبات إلا أنهم يتمثلون الصبر، فانظر ما يقول أحدهم :"لا أرى أن الوطن العربي في وضعيته الراهنة يتحمل ما يمكن أن نعبر عنه بنقد لاهوتي[٤] يمكن أن نمارس النقد اللاهوتي من خلال القدماء يعني أن نستعيد- بشكل أو بآخر- الحوار الذي دار في تاريخنا الثقافي مابين المتكلمين بعضهم مع بعض ومابينهم وبين الفلاسفة ونوظف هذا الحوار في قضايا عصرنا أما أن نقوم بهتك حرماتنا فلا يمكن، لنا حرمات يجب أن نحترمها حتى تتطور الأمور ونتطور معها حتى لا نقفز

(١) الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها. وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة. انظر الموسوعة الميسرة: ٨٦٧/٢.

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني ص٨٠ .

(٣) سورة الإسراء، آية(٦٢).

(٤) النظرة الدينية حول الإله.المعجم الفلسفي ص ٣٩٤.

على التاريخ، لأنه لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهيمنة ولا درجة النضوج الثقافي لدى المثقفين أنفسهم يسمح بهذا النوع من الممارسة ولا السياسة تسمح"[1]."يجب ألا نيأس وألا نقنط لان المرحلة مرحلة قرن أو قرنين وهو لاشيء بالنسبة لتحقيق نهضة علي المستوي الذي نطمح إليه"[2]. ومع يقين المؤمنين أن سعى أولئك في تباب، إلا أن عليهم تجنيد حرس للحدود، يزهقون الباطل ويجلون الحق، فيكونوا مصابيح تنير الطريق في هذه المرحلة المعتمة.

فهذه دراسة نقدية لكتاب، يخفي وراء عنوانه الموسوم: "بمدخل إلى القرآن الكريم"، طوام عظمى تمس ركائز دين المسلم، تحتاج إلى من يجليها، وهذا ما حاولت فعله في الجزء الذي قمت بدراسته ونقده من هذا الكتاب، مستعيناً بالله، مسترشدا بأقوال العلماء.

وجاءت خطة البحث على نحو ما يأتي : المقدمة،،، . تمهيد،،، .

المبحث الأول : مسائل حول القرآن الكريم.

المطلب الأول: ترجمة القرآن .

المطلب الثاني: التحدي في القرآن الكريم والمعجزة الكبرى .

المبحث الثاني : الأحرف السبعة والقراءات

المطلب الأول: القرآن الكريم ولغة قريش

المطلب الثاني: الأحرف السبعة غير القراءات السبع.

المطلب الرابع: القراءات المتواترة والشاذة.

المبحث الثالث: الإعجاز والمعجزات

المطلب الأول: إعجاز القرآن

المطلب الثاني: المعجزات،

وفيه مسألتان الأولى : معجزة انشقاق القمر. والثانية: معجزة الإسراء والمعراج.

نتيجة الدراسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) محمد الجابري، التراث والحداثة ص(٢٥٩-٢٦٠).

(٢) المصدر نفسه: ص٢٥٢وما بعدها.

تمهيد

محمد عابد الجابري، فيلسوف ومفكر مغربي، له مؤلفات كثيرة في نقد الفكر العربي، ولد عام ١٩٣٦م في مدينة سيكيك في المغرب العربي، درس الفلسفة عام ١٩٥٨م بدمشق، والماجستير والدكتوراه في المغرب، وهو الآن أستاذ الفلسفة والفكر العربي والإسلامي في جامعة محمد الخامس في المغرب [1].

ولن أحاول إسقاط ما أفرزته الدراسات التي اطلعت عليها حول فكر الجابري [2]، على جزئيات بحثي إذا كانت لا تحتمل ذلك، بمعنى أنه لن يكون هناك حكم مسبق أتعامل فيه مع هذه الشخصية، فهذا ما يصنعه الإيديولوجيين [3]، وهم بذلك يخرجون عن الحياد.

والواقع أن نقد كلام لشخصية كالجابري تحتاج لوقفات كثيرة متعددة الجوانب، بين أن تدرس فكره، أو شخصيته، أو أسلوبه، أو نفسيته، ... فكل هذا له دوره في قَولَبَةِ مقاصده بقوالب ظاهرها بريء حسن، وباطنها كله عطن، عدا خفة أسلوبه الموحي الذي يسقط في نفس القارئ تساؤلات دون أن يشعر أنها شبه خطيرة تهدم ركائز دينه، والحق أن دراسة وافية تحتاج إلى زمن أطول وصفحات أكثر، وليس هذا ممكنا، بهذه الحدود الكمّية، لكن حاولت جاهدا نقد هذه العقلية من غير أن أصدر أحكاماً عامة مسبقة – كما أشرت سابقاً- تخرج الباحث عن المنهجية المحايدة. غير أن المادة التي قمت بدراستها مرتبطة بما قبلها وما بعدها، لأن الجابري يتبع تسلسلا مترابطاً، في عرض القضايا ويتراخى في إصدار النتائج، بعد أن يقدم لها مقدمات وافية، تتيه بالقارئ، فيشعر أن النتيجة لازمة، وهو عموما

---

(١) انظر موقع محمد الجابري: http://aljabri.١٥٠m.com

(٢) هناك دراسات نقدية عديدة لفكر محمد الجابري، منها دراسات لمستشرقين ومستغربين مثل د.محمود إسماعيل، ومن الدراسات الإسلامية النقدية، دراسة أحمد أبو عامر: كتاب يجب أن نحذرهم، نشر في المجلة العربية، عدد١٥٦عام١٤١١هـ، ود. خالد كبير علال: كتاب الأخطاء التاريخية والمنهجية لمؤلفات محمد أركون ومحمد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، النت. لكن لم تفرد دراسة متكاملة وافية لكتابه المدخل.

(٣) الإيديولوجيا: نسق من الأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية، لها أحكام وإجابات جاهزة للأعمال الأدبية التي تقوم بها.انظر المعجم الفلسفي، ص٦٦.

يحاول أن يقرر مجموعة من الأفكار يكررها كلما تيسر له ذلك، لكن بأسلوب متخفي ذكي، وهي القضايا الفكرية العامة التي ينطلق منها، بمعنى أنها الإيديولوجيا التي دفعته للكتابة. "واضح في طريقة معالجة منهجية الجابري المستخفية داخل الحقل الإسلامي للإسلام والعقائد والتراث الإسلامي والتاريخ الإسلامي وان كان لم يتعرض للعقائد بصور مباشرة، كما انه حرصاً على التخفي داخل المعسكر الإسلامي رفض استعمال مصطلح العلمانية كحد سيف قاطع للتراث ناف للحقيقة ولان مصطلح العقلانية غير صاد فانه يستخدمه ويضع تحته طرائق العلمانية المنتقاة من طرفه لتغيير معالم ديننا وأعلام حصوننا فالجابري رفض مصطلح العلمانية لأنه فضح"[1].

وأجمل بعض الأمور العامة[2] حول أسلوب الجابري في كتابته، التي لمستها أثناء دراستي هذه:

-ينتقل محمد الجابري بخفة رهيبة بين القضايا والمسائل، واضعاً القارئ أمام زخم من المعلومات و خلاصات وفوائد في أسطر قليلة.

-يتجاوز أقوال العلماء في المسائل ويطرحها بأسلوبه المثير.

-يدلس على القارئ في بعض القضايا بإغفال الخلاف فيها فيأتي بما يريد أن يقرره فقط.

-الأمور الخطيرة التي تمس ثوابت المسلم التي يثيرها أغلبها شبهات أثارها المستشرقون قبله، لكنه يعرضها بأسلوب جديد.

-عنده خلط في كثير من المسائل مما يشير إلى أنه غير ضابط لهذه المسائل، أو أنه يتعمد هذا الخلط، من باب التمويه على شريحة معينة من القراء.

-يحاول أن يتلاعب بعقل القارئ بعد أن يُـتوّهه بزخم ما يعرضه من قضايا بتتابع مذهل فيعمي ذهنه عن أشياء ليقرر في عقله أشياء أخرى.

(١) هذا الاقتباس من النت، لأحد نقاد للجابري، طارق منينة،انهيار شرفات الاستشراق .. معهود الجابري الجنسي، تاريخ النشر : ٢٠٠٩/١١/٠٤ - ٠٦:٤٠ م المصدر :

http://majles.alukah.net/t٢٨٤٣٠/#ixzz٣٣ECunbLU

(٢) وهناك مقالة للدكتور مساعد الطيار بعنوان: "نقدٌ لكتاب الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم" ذكر فيها أطر عامة لمنهج الجابري. http://vb.tafsir.net/tafsir١٩٨٢١/#.U٤zHrEuIrIU

-نفَسُه طويل يسهب ويبعد عن قضية معينة! وعينه عليها. فيكون كل ما يورده بعدها في خدمة هذه القضية.

-لا يكاد يخلو سطر من قضية تحتاج لبيان وشرح وتعقيب وتوضيح.

الأحرف والقراءات والمعجزات

تحت هذا العنوان تحدث محمد الجابري عن جملة من المسائل، كان يقدم لها مقدمات ثم يختم هذه المقدمات بسؤال، ينطلق منه إلى مسألة أخرى.

المبحث الأول: مسائل حول القرآن.

المطلب الأول: ترجمة القرآن.

إن أهم قضية تحدث عنها محمد الجابري في هذا الجزء من كتابه قضية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، ولقد أطال فيها الكلام، وعرضها بطريقة موحية، لذا يحسن أن نؤصل لقضية الترجمة وإن طال بنا المقام، ونُناقش الجابري في ثنايا هذا العرض وبعده.

يقول محمد الجابري بعد أن تحدث عن تأثير ترتيل القرآن في النفس، قال: " هناك إلى جانب هذا آيات عديدة تشدد على كون القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وأنه لو كان أعجمي اللسان لما فهمه العرب ولا قبلوه: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ وأيضاً : ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾.. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا يمكن صياغته على النحو التالي: إذا كان القرآن أبلغ تأثيرا في النفس حين يرتل ترتيلا بلسان عربي مبين، وإذا كان العرب لن يفهموه وبالتالي لن يتأثروا به لو أنه أنزل إليهم جملة واحدة بغير لسانهم، فما القول بالنسبة إلى الأقوام الذين أسلموا أو يدعون إلى الإسلام وهم لا يعرفون العربية؟.. في هذا الإطار يمكن أن نذكر بما قيل منذ القدم من أن القرآن لا يقبل الترجمة إلى لغات أجنبية، وأن كُل ما يمكن فعله في هذا المجال هو ترجمة معانيه"[1].

مع أن الجابري أقر في كلامه هذا أن القرآن عربي مبين، إلا أنه أثار حول عروبته تساؤلا، موحياً يجعل من الترجمة هي الخيار الأمثل لحل إشكال الذين يسلمون من غير العرب، ثم ذكر الترجمة وقبل أن نقف معه وقفات طويلة لابد من أن نؤصل لهذه القضية لما سينبني عليها تباعاً من إشكالات.

أولاً : معنى الترجمة في اللغة والعرف.

أما في اللغة فهي على أربعة معانٍ : فالأول تبليغ الكلام إلى من لم يبلغه، والثاني : تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، والثالث : تفسير الكلام بلغة غير لغته،

(١) محمد الجابري،مدخل إلى القرآن الكريم ١٧٩وما بعدها.

والرابع نقل الكلام من لغة إلى أخرى [1]. ولكون هذه المعاني الأربعة فيها بيان جاز على سبيل التوسع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان[2].

وأما في العرف : فهي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده[3].

ثانياً: ترجمة القرآن الكريم. فيما يتعلق بلفظ القرآن الكريم ومعناه، استخدم مصطلح الترجمة في أكثر من معنىً له من حيث اللغة.

ففي المعنى الثاني وهو تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ما قيل في ابن عباس" انه ترجمان القرآن"[4].،وفي المعنى الثالث وهو تفسير الكلام بلغة غير لغته، ما فعله ترجمان هرقل عندما ترجم له رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي يدعوه فيها إلى الإسلام وفيها مقتبسات من القرآن[5].

أما ترجمة القرآن الكريم وفق المعنى اللغوي الرابع بنقل الكلام من لغة إلى أخرى أو بالمعنى العرفي، وهو التعبير عن معنى الكلام في لغة غير لغته مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. فهو مالا يمكن، وهو الذي يعنينا بهذه الدراسة، وهو الذي سعى المستشرقون لتحقيقه، ويسعى الحداثيون لتقريره.

ثالثاً :أنواع ترجمة القرآن وحكم كل منها.

النوع الأول: ترجمة حرفية للقرآن الكريم. وهي بنقل الكلام من أسلوب لغته إلى أسلوب لغة أخرى يضاهيه تماماً، فيعمد المترجم إلى كل كلمة في الأصل فيستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى [6]. وهذا مالا سبيل إليه أبدا،لأن اللغة العربية تعبر بألفاظ محكمة في إفادة المعنى الدقيق من جهة، ومن جهة أخرى لأنه

(١) انظر المعجم الوسيط مادة ترجم، ولسان العرب نفس المادة، ومختار الصحاح(ترج).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان ص٤١٣.

(٣) نفس المصدر ص ٤١٤.

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي١٢١/١١و١٢٤.

(٥) انظر الروض الأنف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي٥٨١،ج١١٩/٢ ولسان العرب المادة نفسها.

(٦) انظر مناهل العرفان ٤١٥،وإتقان البرهان٢٦٨/٢

تركب في ألفاظها معانٍ مستتبعة ثانوية[1]. وهذه لا تكون إلا في العربية ــ وسيأتي الكلام عن ذلك لاحقاً ــ، ثم السبب الأهم المتعلق بإعجاز القرآن، وهو ما حاول الجابري قصره في قوم النبي صلى الله غليه وسلم، حيث إن لفظ القرآن المعبر عن معنىً حقيقي، وآخر ثانوي لن يتأتَ لمخلوق أن يأتي بمثله في سياقه مهما أوتي من فصاحة، وإتقان للغة القرآن، فكيف سيكون ذلك متأتياً في أي لغة أخرى قاصرة عن أداء ما تؤديه العربية ! إن ذلك مستحيل شرعاً، وعقلا أما شرعاً فلأنه كلام الهي فأنى لمخلوق أن يأتي بمثله، وأما عقلا فلمكانة اللغة العربيةــ وسيأتي بيان ذلك ــ

أما حكم العلماء على هذا النوع من الترجمة، فقد اتفق العلماء في القديم والحديث على حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية، لما سبق بيانه من أسباب [2].

النوع الثاني: ترجمة وتفسير القران الكريم . والمقصود العمد إلى تفاسير العلماء للقران بكلامهم، ثم نقل المعنى العام لهذا الكلام إلى أي لغة أخرى [3].

وهذه ترجمة كلام عادي يحمل معنى القران، لكن يتطلب ذلك من المترجم أن يتنبه إلى المعاني المجازية.

وهذا النوع محل اتفاق من العلماء فهو سبيل من سبل نشر الدين.

النوع الثالث: الترجمة المعنوية. وهذا النوع لم يتفق على تحديد المقصود منه، وبناءً علية وجد الخلاف في حكمه .

فذهب جماهير العلماء إلى ممنوعية ترجمة القران ترجمة معنوية واعتبروا كلمة معاني أو معنوية مقحمة ، ولا فرق بين الترجمة الحرفية والمعنوية من حيث الحقيقة، فكلتاهما تعبر عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده ، وهي التي تتداول بين المترجمين، أما الحرفية فلا سبيل إليها أصلا [4].

(١) انظر إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز بديع الزمان سعيد النورسي ت١٣٧٩هـ/ج٢ /١٢٩

(٢) انظر البرهان للزركشي٢٦٤/١ وما بعدها .

(٣) انظر إتقان البرهان٢٦٨/٢،ومذكرة في علوم القرآن ص ٨٣.

(٤) شحادة العمري، مذكرة في علوم القرآن ص ٨٤وما بعدها.

أما من ذهب إلى جواز ذلك وهم قله فعلى رأسهم محمد مصطفى المراغي ومحمد فريد وجدي [1].

فاستدلوا بآثار ضعيفة واهية بين عورها، وتذرعوا بتبليغ الدين وهذا متأت في ترجمة تفسير القران، لان تبليغ الدين يتم بتوصيل تعاليمه إلى المخاطب من عبادات ومعاملات ، فلا حاجة إلى ترجمة آية واحدة من القران وفق هذا المقصد .

بعد هذا العرض اليسير لمسالة ترجمة القران نحتاج إلى مقدمة لابد منها لتوضح ما سبق، وفق تسلسل بنائي للوصل إلى ما يطرح من مسائل مفرعة على ترجمة القران الكريم غرضها النهائي الوصول إلى تقرير ذلك، والتشكيك في حكم العلماء في هذه المسألة لتصبح مثاراً من جديد ومداراً للبحث، وهذا ما نستشعره من دندنة الجابري حول هذه المسألة.

معلوم أن كل أمة من الأمم بعث الله إليها رسولاً لينذرهم (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) [2] ، فغير العرب جاءهم منذرون ومن اهتدى منهم هداه الله، ولقد كان حتى قبيل البعثة من الأحبار الرهبان والصابئة من بقوا على دين أنبيائهم وماتوا علية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [3].

فالدعوة إلى الإسلام كانت من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله علية وسلم (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلاَمُ)[4].

فالإسلام دين الله في أرض الله ، والإنسان مستخلف في الأرض في أمرين متلازمين ، عبادة الله وعمارة الأرض (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى) [5].

ولأن هذا الكون مبني على سنن لا تختلف، جاء الإسلام المنزل على ما تقتضيه هذه السنن فنزل من الهداية في مراحل تطور هذا الكون ما يصلح كل مرحلة بحسبها ، فما نزل على آدم من تشريع كان كافياً لإصلاح وإعمار ما تقتضيه

(١) انظر المصدر السابق ص٨٤.

(٢) فاطر(٢٤).

(٣) البقرة (٦٢).

(٤) آل عمران(١٩).

(٥) طه(١٢٣).

المرحلة الأولى في هذا الكون بعد وجود البشر فيه، وما نزل تباعاً على إدريس وعلى نوح عليهما السلام كذلك، ومن بعدهم من الرسل إلى آخرهم سيدنا محمد علية الصلاة والسلام كل هذا في تسلسل بنائي كوني وهادي، لتحقيق عبودية الله على مراده سبحانه وتعالى، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) [1]. وفي رواية زاد«قال : فكنت أنا تلك اللبنة) [2].

وعلية فكل نبي من أنبياء الله تعالى جاء ليضيف إلى الأساس الأول الذي نزل به آدم علية السلام، يضيف ما نزل إليه من تشريع تصلح به الحياة في الأرض، إلى أن اكتمل هذا البناء بخاتم الرسل محمد صلى الله علية وسلم فكمل به الدين (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا) [3].

فكل مرحلة تابعة مترتبة على التي قبلها بناءٌ كوني وبناءٌ شرعي ، فرافق التطور الحضاري الإنساني، تشريعٌ هادٍ به تستدم (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [4].

ولما كان النبي صلى الله علية وسلم هو اللبنة الأخيرة من بناء الرسل عليهم السلام، كان ما أنزل علية وهو القران هو تمام الشرائع وكمالها.

وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى أعطى كل أمة حقها، فأنزل عليها أقصى ما تحتمله وتطيقه من شرائع إسلامية تنظم مرحلتها الحضارية السننية الكونية.

فانزل على كل أمة كتاباً بلسانها (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [5]، فتتجلى هنا أهمية

(١) الترمذي السنن ج٥/١٤٧/رقم ٢٨٦٢ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ١٤/٣١٧/ ٦٤٠٧

(٢) شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) المائدة (٣).

(٤) طه(١٢٤).

(٥) إبراهيم(٤).

اللسان في البناء الحضاري من جهة، وفي البناء الشرعي من جهة أخرى.

فكما قرر سبقاً أن الكون بناءٌ تسلسلي متراكب مترتب فالشرائع الإسلامية المنزلة راعت هذا التسلسل في نزولها، فإن اللغة جزء من هذا البناء فهي أداة التخاطب والتفاهم للإعراب عن المعاني، المعاني التي تتشكل وفق البناء الحضاري المعرفي، فالنازل من عند الله سبحانه متدرجاً بحسب البناء المعرفي اللغوي حتى كان كماله بالقرآن العظيم العربي المبين، الذي نزل بأم اللغات.

قال ابن خلدون: " اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات باللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"[1].

واللغات كلها تشترك في الإعراب عن المعاني، لكنها تتفاوت فيما بينها في الإجادة للتعبير عن هذه المعاني إن كانت العربية أفصح اللغات وأبينها بما حوته من ألفاظ دوال عن دقيق المعاني وبما تمتلكه من أحوال لهذه الألفاظ.

قال الشافعي:"ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، **ولكنه لا يذهب منه شيء على عامته، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه** "[2].

ثم إن العربية تميزت عن اللغات الأخرى بما يحتمله لفظها من معان ثانوية لا تستطيع أي لغة أخرى التعبير عنها في وجازة لفظها قال ابن خلدون:" فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن.

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أوتيت جوامع الكلم[3] واختصر لي الكلام اختصاراً ". واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة: " إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم: زيد قائم، وإن زيداً قائم، وإن زيداً لقائم والمعنى واحد. فقال له: إن معانيها مختلفة، فالأول: لإفادة الخالي الذهن من قيام زيد، والثاني: لمن سمعه فتردد فيه، والثالث: لمن عرف بالإصرار على

(١) انظر مقدمة ابن خلدون(٣٤٤).

(٢) الشافعي محمد بن إدريس الرسالة(٤٢).

(٣) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة – القاهرة، رقم: ٩٧٠٣، ج ٢/ ٤٤٢.

إنكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال. [1].

إذا كانت اللغات تأخذ من بعضها فإنها تتطور وتبدل و تتحوّر، في النهاية هي أداة للتفاهم والتعبير عن المعاني بالكلام، وإذا كانت كذلك فهذا يعني أنها لا قداسة لها بل هي نتاج مدني حضاري لا غير، هذا إذا كانت ألفاظ هذه اللغات تعبر عن المعاني، لكن دون أن يكون للفظ أي ارتباط حسي بالمعنى فقط مجرد اصطلاح إن ذلك ينطبق على كل لغات الأرض، إلا اللغة العربية، وليس هذا تعصباً أو تحكما فهذه اللغة تعبر ألفاظها عن معاني النفس البشرية بدقة متناهية فيلحظ الترابط بين منطوق اللفظ والمعنى الذي وقف له، وهذا يجعل لها قداسة على باقي اللغات، فمثلاً إذا أخذنا لفظ (بَلَعَ) الذي يعبر عن فعل يعني دخول الشيء في الشيء، وبلع الطعام أو الشراب :أنزله من حلقومه إلى جوفه[2] . فحروف هذه الكلمة الثلاثية تبدأ بالباء التي تخرج من الشفتين ثم اللام التي هي ادخل من الباء التي تخرج من اللسان ثم العين التي تخرج من وسط الحلق [3].

حروف هذه الكلمة عندما تنطق بها تلاحظ كيف أنها تبدأ بالشفتين وتنتهي بالحلق فهي تعبر حسياً عن عملية البلع، فأي لغة غير العربية فيها هذا التلازم بين اللفظ ومعناه.

إذاً لا عجب أن ينزل بها القران الكريم الذي هو كلام الله تعالى الأزلي الخالد، وهذا فيه نوع إشارة بأن اللغة العربية لغة تحمل شياً من القداسة في ذاتها. وليس هذا مقام إثبات قداسة اللغة العربية، وإنما القصد إثبات أن اللفظ العربي، لا يقوم مقامه أي لفظ من لغة أخرى، ثم يفيد نفس المعنى في دقته، فإذا كانت اللغة العربية هي الأوسع على الإطلاق من كل الوجوه، هي اللغة الوسطى ذروة اللغات، تعبر عن الفهم بأدق ما يوصف به من لفظ، فهي اللغة الحضارية الهاضمة لغة المستقبل، أقول إذا كانت هذه اللغة هي بمثابة الدائرة العظمى، واللغات الأخرى دوائر في فلكها، فكيف يمكن تحويل ما تحمله هذه اللغة من معنى إلى أي لغة أخرى على

(١) ابن خلدون المقدمة ص:٣٤٥.
(٢) انظر معجم رائد الطلاب، جبران مسعود مادة بلع.
(٣) انظر . النشر في القراءات العشر،ابن الجزري ١/٢٢٥-٢٢٧

الإطلاق!، إلا أن يحدث فيه خلل فلا يصل مستقيماً مفهوماً كما فهم بلغته الأم.

قال ابن سنان الخفاجي :" وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها يبين ذلك. فليس كلام ينقل إلى لغة العرب إلا ويجيء الثاني أخصر من الأول، مع سلامة المعاني، وبقائها على حالها. وهذه بلا شك فضيلة مشهورة، وميزة كبيرة. لأن الغرض في الكلام، ووضع اللغات بيان المعاني وكشفها. فإذا كانت لغة تفصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار والاقتصار، فهي أولى بالاستعمال، وأفضل مما يحتاج فيه إلى الإسهاب والإطالة"[1].

وذكر ــ رحمه الله ــ "وقد خبرني أبو داود المطران ــ وهو عارف باللغتين العربية والسريانية ــ أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني، قبحت وخست، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوة وحسناً. وهذا الذي ذكر صحيح، يخبر به أهل كل لغة عن لغتهم مع العربية. [2].

فاللغة العربية تريد أن ترتقي بالشعوب، والأمم إلى تحصيل فهم عالٍ لأي معنى يمكن أن يطرح، لذلك نزل كلام الله باللغة العربية فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذروة الأنبياء وتمامهم خلقةً وخُلفاً ورسالة وزماناً، فلا نبي بعده ولا أرفع منه كذا النازل عليه محكم تام كامل إلهي، نزل بأرفع اللغات وأتمها وأحكمها، ليتم به الدين«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [3].

أعود لأقول إن سنة الله في الكون التدرج هذا ينطبق على كل جزئيات هذا الكون فلقد أعلمنا ربنا انه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام وإنما أمره أن يقول للشيء كن فيكون .

فكل ما يتعلق بعالم السماوات والأرض يلزمه هذه السنة، وهي التدرج والترتيب والتطور، وان كان في علم الله تام قبل أن يظهر تاماً في الكون ، فاللغة العربية مرت بمراحل تطور حتى بلغت أوجها قُبيل البعثة ، ولا ينكر ذلك أحد ومع ذلك لم ينزل القران إلا بعد اكتمال ظهورها مع أنه كلام الله العربي الذي هو السابق لنشوء

(١) ابن سنان الخفاجي ص٤٦٦هـ، سر الفصاحة ص ٤٥.
(٢) انظر المصدر السابق، ص٤٦٦.
(٣) المائدة(٣).

اللغة في الكون فضلاً عن تطورها واكتمالها.

نعود للجابري قال:" والسؤال الذي يطرح نفسه هنا يمكن صياغته كالتالي: إذا كان القرآن أبلغ تأثيرا في النفس حين يرتل ترتيلا بلسان عربي مبين، وإذا كان العرب لن يفهموه وبالتالي لن يتأثروا به لو أنه أنزل إليهم جملة واحدة بغير لسانهم، فما القول بالنسبة إلى الأقوام الذين أسلموا أو يدعون إلى الإسلام وهم لا يعرفون العربية؟".

طرح الجابري هذا السؤال ليثير مسالة الترجمة بأسلوب منطقي في عقل القارئ فيشعر أنها الخيار الوحيد بالإجابة عن هذا السؤال .

فالقول في الأقوام الذين أسلموا أو يدعون إلى الإسلام، وهم لا يعرفون العربية، القول فيهم: أن يتعلموا هذه اللغة لأنهم لن يفهموا الإسلام كما يريد لهم الله سبحانه، إلا أن يتعلموا لغة القرآن. لذا فهم لا يقبل منهم الإسلام إلا أن ينطقوا بالشهادتين بالعربية، ولأن الدين يسر وجاء لسعادة البشر ولانتفاء الضر عنهم والضرر، جاز لمن عسر عليه تعلم العربية أن ينقل له أصول الدين، فيتعلم أركان الإسلام بلغته ويتعلم أحكام المعاملات، وهذا لا يقتضي أن يترجم القرآن الكريم بل يكفي أن يترجم تفسير معانيه، وبذلك ينحل الإشكال بالنسبة لمن أسلم ويدعى إلى الإسلام من غير العرب، وهؤلاء العجم لا تصح صلاتهم إلا أن يقرءوا بها القرآن باللغة العربية.

وفي الواقع إن الإسلام دين عالمي فكل لغة يتكلم بها قوم في كل بقعة من الأرض يوجد منهم مسلمون، ويصلون ويقرءون في صلاتهم القرآن بالعربية مصداقاً لقوله تعالى «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» [1]. فلا حاجة إلى ترجمة القرآن للدعوة إلى الإسلام فليست هذه معضلة والواقع يصدق ذلك.

ثم يجيب المؤلف عن هذا السؤال فيقول :"في هذا الإطار يمكن أن نذكر بما قيل منذ القدم من أن القرآن لا يقبل الترجمة إلى لغات أجنبية، وأن كل ما يمكن فعله في هذا المجال هو ترجمة معانيه[2].

(١) القمر(١٧)

(٢) محمد الجابري،مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٨٠.

قال " منذ القدم " ولم يذكر أن هذه المسالة كما هي قديمة هي حديثة أيضا ولا أظنه لم يطلع على فتاوى العلماء المعاصرين في أرجاء العالم الإسلامي في هذه المسالة ، وكأنه تعمد أن يضفي على مسالة ترجمة القران الكريم القدم ، ليجعلها من جديد مثاراً للبحث بدافع الحاجة إلى نشر الدعوة الإسلامية .

ثم تابع يقول "وان كل ما يمكن فعله في هذا المجال هو ترجمة معانية ".

إذا كانت الترجمة الحرفية للقران مرفوضة قطعياً عند العلماء – كما مر سابقاً – فإن ترجمة معانيه مسألة مختلف فيها بين العلماء، وان المانعين لها هم جمهور العلماء، فقد تجاوز المؤلف هذا الخلاف، وقرر أن مسالة ترجمة معاني القران الكريم جائزة، فيوحي للقارئ أن المسالة محل اتفاق بين العلماء وهذا غير صحيح .

قال "وأكثر من ذلك يمكن أن نضيف أن القرآن لا يقبل الترجمة إلى اللغة العربية نفسها إلا على سبيل ترجمة المعاني، أي على سبيل التفسير والتأويل".

قصد بترجمة القران إلى اللغة العربية نفسها أحد معاني الترجمة اللغوية الذي يعني التفسير والبيان ، ولقد أصاب في ذلك فألفاظ القران معجزة كمعانيه ، فلا يمكن أن يحل أي لفظ مكان لفظ من ألفاظ القران ثم يسمى قران [1].

والذي يجوز هو ترجمة المعاني أي تفسيرها وهو الذي صنعة المفسرون لكن المؤلف عطف على التفسير التأويل فقال " أي على سبيل التفسير والتأويل " .

ومعلوم أن التفسير غير التأويل وليس هذا محل الاعتراض، بل الاعتراض على انه لم يفصل ما المراد من التأويل، حيث أن هذا اللفظ له معنى مقبول وآخر مرفوض خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالقران الكريم، فهو في نظر القراءة المعاصرة لَيٌّ أعناق النصوص عن معانيها المتبادرة منها أو المترجحة بالقرينة، وتحميلها مالا تحتمله من المعاني التي لا تقرها اللغة العربية ولا فقه اللغة[2].

ثم عاد ليتكلم عن الترجمة في اللغات الأخرى ، لكن على نطاق أوسع فقال"يمكن أن يعترض معترض ويقول: هذا ليس خاصاً بالقرآن! فهناك أنواع من

(١) انظر لهذا المعنى كتاب العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ محمود توفيق محمد، ص ١٥٧.

(٢) انظر كتاب مقالتان في التأويل معالم في المنهج ورصد للانحراف،محمد أبو عاصي، ص ٥٣.

النصوص بمختلف لغات العالم، كالنصوص الشعرية والأمثال والنكات وما أشبه، لا تقبل الترجمة".

هناك فرق بين ترجمة القران الكريم وترجمة أي نص آخر فالنصوص الشعرية والأمثال ... لا تترجم لأن لها قوالب لا تكون إلا في اللغة التي ألفت بها، فإذا نقلت إلى لغات أخرى ضاع هذا القالب وتزيد العربية عن باقي اللغات بالمعنى المجازي الذي لا يمكن ترجمة اللفظ الذي فيه هذا المعنى دون أن يذهب ولا يظهر في اللغة المترجم إليها [1].

المطلب الثاني : التحدي في القرآن والمعجزة الكبرى.

قوله:" لقد اكتسى هذا التحدي طابع «التعجيز» فوصف القرآن بأنه معجز. وبما أنه خص به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو معجزة له. وبما أن الدعوة المحمدية كانت موجهة في البداية إلى المشركين بمكة بنص القرآن نفسه: ﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ فإن هذا الإعجاز بقي قائماً، ما دام المخاطبون به هم العرب وحدهم".

أولا : التعجيز غير الإعجاز والمعجزة من الإعجاز وليس من التعجيز.

وهذا من الجابري ربط عجيب فما من التعجيز أخذ العجز، لقد حاول العرب معارضة القرآن بكل ما أوتوا من قوة وفصاحة، ولقد عجزوا من قبل أنفسهم عجزوا بصنعتهم أمام القرآن، ولم يكن عجزهم بصرفهم وحبس قوتهم بالقدرة الإلهية حتى يوصف بأنه تعجيز.

وإذا رجعنا إلى اللغة وجدنا الفرق بين عَجَزَ وعَجَّزَ، نقول عَجَزَ يعجز عجزاً وعُجزاناً ومعجزاً ومُعْجِزاً ومُعجِزةً، بمعنى: ضعف عن الشيء ولم يقدر عليه[2]. ونقول: عَجَّزَ تعجيزاً أي جعله عاجزاً، نسبه إلى العجز [3].

ومن المعنى الأول كما تبين إعجاز القرآن، أي عجز أمامه المعارض بكل قوته

(١) انظر إتقان البرهان، ص٢٦٩.
(٢) معجم رائد الطلاب مادة عجم.
(٣) المصدر السابق.

من تلقاء نفسه، لا أن أحداً أعجزه أي جعله عاجزاً، مع أن التعجيز جاء متحصلاً من عجزهم بعد المعارضة، فهو منتهى المقصد لا مبتدئه.

وبذا يتبين كيف خلط الجابري بين المعنيين المتقاربين؛ ليسقط في نفس القارئ شبهة الصرفة دون أن يشير إليها، رغم أنه أفرد الكلام عنها في صفحات لاحقة دون أن يفندها.

ثانياً: قولة مراراً الدعوة المحمدية ثم قال في هذه الفقرة خص به النبي فدعوة محمد صلى الله علية وسلم الإسلام دعوة كل الأنبياء، وخصوصية القران بمحمد صلى الله علية وسلم انه نزل علية وإلا فهو كلام الله وكل الأمة معنية به.

ثالثاً: دعوة النبي صلى الله علية وسلم كانت موجهة في البداية إلى المشركين بمكة، هذا بدهي لكن المراد منه أمر آخر وكأني بالمؤلف يقول:" إن محمداً لما نجح في دعوته في قومه كنموذج تجريبي أخذ يتوسع ليعمم هذه الدعوة ..". بعد أن أسس لها القاعدة الأولى بعبقريته، إشارة إلى أن منطلقه ذاتي، لا تشريعي.

قال الجابري:" أما الملاحظة الأولى فتخص ما أجمع عليه علماء المسلمون من أن القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم. فإن هذه المعجزة تتمثل في كونه تحدى خصوم الدعوة المحمدية من قريش –الذين قالوا إنه ليس من عند الله وإن محمداً افتراه من عنده أو أعانه عليه قوم آخرون– أقول تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا عن ذلك. لقد اكتسى هذا التحدي طابع التعجيز فوصف القرآن بأنه معجز. وبما أنه خص به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو معجزه له. وبما أن الدعوة المحمدية كانت موجهة في البداية إلى المشركين بمكة بنص القرآ نفسه: ﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾، فإن هذا الإعجاز بقي قائما، ما دام المخاطبون به هم العرب وحدهم".

لنقف عند هذا النقل من كلام الجابري لان فيه ما يمكن مناقشته:

قوله " أما الملاحظة الأولى فتخص ما أجمع عليه علماء المسلمين من أن القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله علية وسلم. هذا كلام صحيح لا غبار عليه ثم قال " وكما سنرى ...."

حق أن القران تحدى قريشاً لما افتروا وهم يعلمون ، فقالوا كما قال الله على

لسانهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان٤ــ٥).

لكن المعجزة الكبرى التي عجز أمامها أفصح العرب من قريش ، هي معجزة خالدة لذا فأنه يجب أن نوضح ما يتعلق بآيات التحدي قبل أن نتابع مناقشة كلام الجابري .

إن الآيات التي جاءت بالقران متضمنة تحدي المعارض منها ما هو مكي ومنها ما هو مدني فآيات التحدي بالعهد المكي جاءت بأربع سور هي (الطور وهود ويونس والإسراء) .

تحدث العلماء عن آيات التحدي وبينوا ترتيبها الزمني خلال سياقها وجوها العام وارتباطها بما قبلها [1].

أولا: العهد المكي فأول آيات التحدي في هذا العهد كما بين المحققون آية الطور قال تعالى (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاَ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (٣٣-٣٤).

فالعرب عند نزول القران الكريم اتهموا النبي صلى الله علية وسلم ثم زعموا انه تقوّل القران، فتحداهم القران في قولهم [2].

ولما عجزوا عن أن يأتوا بحديث من مثله ...لا تكلفهم أن يأتوا به جملةً مثله في البلاغة وصحة المعاني والأخبار [3].

تنزل معهم في التحدي في آية سورة هود قال تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١٣).

ثم إنهم عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، لكنهم بقوا مصرين على كفرهم وازداد أذاهم للنبي صلى الله علية وسلم وتكذيبهم .

(١) انظر آيات التحدي تاريخ نزولها وأسرار إعجازها، شحادة العمري، مجلة أبحاث اليرموك١٥٥
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) انظر المصدرالسابق.

فتنزل معهم مرة أخرى وخفف عنهم فقال: فأتوا بسورة واحدة مثل القران قال تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يونس (٣٨).

قال ابن تيمية: وهذا التحدي كان في مكة، فان هذه السور مكية، سورة يونس وهود والطور[1] .

ثم ختم التحدي بالعهد المكي بآية سورة الإسراء، التي تقرر عجز أولئك وكل من سيأتي من بعدهم إلى يوم القيامة عن معارضة القران الكريم قال تعالى في سورة الإسراء (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء:٨٨].

العهد المدني: كانت آخر آيات التحدي آية سورة البقرة قال تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢٣).

بهذه الآية كانت خاتمة مراحل التحدي على الإطلاق لتسجل عجز الثقلين عن المعارضة فيما يستقبل من الزمان[2] . بعد هذا المقدمة عن التحدي ومراحله نعود لنناقش الجابري في ضوء ما سبق بيانه لتقرير ما يأتي:

أولا: بداءة التحدي لأهل مكة من قريش بآية الطور .

ثانياً: ختم التحدي بالعهد المدني بآية البقرة .

قول الجابري السابق: فان هذا معجزة ...." [3]. قد أوقعه في عدة مغالطات:

الأولى: قصره المعجزة الكبرى على التحدي.

ثانياً: قصره التحدي على قريش .

إن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى، ولقد كان كذلك لا لأنه جاءت به آيات تحدى بها فصحاء العرب، بل لأنه كلام الله المحفوظ من وقت نزوله حتى قيام الساعة، وآيات التحدي دليل إعجازه للمعاند.

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح٥/٤٢٥.
(٢) شحادة العمري، آيات التحدي، ص١٦٥.
(٣) انظر كلامه من هذا البحث ص١٢.

فهو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم وما من نبي أوتي معجزة إلا وذهبت بذهاب الحدث التي جاءت من أجله، أو بموت النبي الذي جاء بها، لكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم خالدة رغم موته عليه الصلاة والسلام.

أما وجه كونه المعجزة الكبرى، فإن قلنا لأنه تحدى به فصحاء العرب بالبيان، قال قائل: إن ذلك التحدي كان في وقته وذهب[1]، وهذا ما نجده في كلام الجابري، ثم إنه مخاطب به غير العرب فضلا عن أنهم بارعين في هذه اللغة، من دون الأمم الأخرى.

أولاً : إذا كان التحدي لأهل الفصاحة فعجزوا فمن باب أولى عجز من هو دونهم عربي كان أم عجمي.

ثانياً: العجمي إن تعلم العربية ربما كان أفصح من أهلها فمن أئمة اللغة من هم أعاجم كسيبويه. وعندما عجز الفصحاء كان حجة على باقي العرب، كذلك هو حجة على العجم.

ثالثاً: التحدي قائم إلى يوم القيامة وما كان من تحدي العرب آن ذاك إلا أنموذجاً لمن يظن أنه يقدر على معارضة القرآن، ومن يرى في نفسه ذلك فليصنعه، فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة وثلاثين سنة ما سمعنا أن أحداً قال إنه يقدر على معارضة القرآن وأفلح في ذلك.

ونحن نتحدى في هذا العصر بقوله تعالى«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»البقرة (٢٣).

إذا يتبين أن القرآن هو المعجزة الكبرى للعجز عن معارضته بأي وجه كان من جهة، ولخلوده من جهة أخرى كونه متعلقاً بواجب الوجود.

أما وجه هذا الإعجاز فهو كونه كلام الله فقط، بما تحتمله هاتان الكلمتان من مقتضيات، حيث انه كلام إلهي سابق الفنون والأذهان هو من علم الله، وما يأتي به الإنسان لا بد وأن يكون محجوجاً به.

أما معارضة القرآن فكل بحسب ما يتقنه وما يظن انه بارع فيه وهذا

(١) انظر الإعجاز اللغوي والبياني علي بن نايف الشحود، ص٤٧١ .

متضمن لآيات التحدي التي تقول فأتوا بحديث مثله أي في مبناه أو معناه، وإذا كان التحدي للعرب في المبنى فإن التحدي للعالمين بالإضافة إلى المبنى المعنى، ومن عجز عن المبنى فعجزه في المعنى أجدر.

نعود لما قاله الجابري:"إن القرآن هو المعجزة ..." [1] هذه المعجزة الكبرى لم تكن كذلك لتحديها قريش، بل انه لم تأت كلمة تحدي في سياق أي آية، إنما كان هذا نموذجاً على محاجة الفصحاء فكيف بمن هو دونهم، قال الجابري: "كان من الطبيعي إذا أن يتصدى مفكرو الإسلام، وفي مقدمتهم المتكلمون، إلى الرد على هذه المطاعن بإبراز وجوه أخرى لإعجاز القرآن. وقد أراد المعتزلة أن يعطوا مفهوم الإعجاز القرآني طابعا كليا بحيث يسلم به العربي وغير العربي فربطوه بأمور تتصل بالمعنى لا باللفظ. كإخباره بالغيب: الغيب في الماضي أي حكايته لأحوال الأمم الماضية التي لم يكن العرب أيام النبوة يعرفون عنها شيئاً، والغيب في المستقبل كإخباره بهزيمة الروم قبل وقوعها..... إلخ. أما الجانب الآخر من القرآن، الجانب البلاغي، جانب اللفظ ونظم الكلام، فمنهم من اعتبر القرآن معجزا بذاته، بمعنى أن البشر عاجزون بطبيعتهم عن الإتيان بمثله، ومنهم من اعتبره معجزاً بتدخل الإرادة الإلهية التي منعت العرب وصرفتهم عن الإتيان بشئ مثله. وقد عرف هذا الرأي بـــ«القول بالصرفة»، وينسب إلى المعتزلي المشهور إبراهيم بن يسار النظام المتوفى سنة: ٢٣١ه [2]".

تطرق الجابري في كلامه السابق إلى الصرفة ولم يبين موقف العلماء منها، وسأوضح موقفهم بإيجاز.

إن عجز العرب عن معارضة القرآن لم تكن في شيء غريب عنهم أو لا يعرفون وجهه، من هذه الزاوية ظهر القول بالصرفة "التي تعني أن الله صرف البشر عن معارضة هذا القرآن، وإلا فإن العرب قادرون على المعارضة.وهذا القول هو القول المشهور الذي ينسب للنظام وجماعة بما هو معلوم [3].

(١) انظر كلامه من هذا البحث صفحة١٢.

(٢) محمد الجابري مدخل إلى القرآن ص ١٨٥ .

(٣) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ إعجاز القرآن:١٦/١

قال الباقلاني:" ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع هو المعجز فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"(١)

والصحيح هو أن العرب أدركوا إعجاز القرآن وتذوقوه وأذعنوا له أما الصرفة فكما تبين أنها لم تكن في البيئة العربية والإسلامية إلا بعد النزول بقرنين كاملين. فالنظام هو أول من قال بالصرفة، لتأثره بالأمم الأخرى. قال فضل عباس: "ونحن على يقين من أن هذا القول من النظام لم يكن وليد البيئة الإسلامية، وإنما استهواه ما قاله الهنود والفرس عن الفيدا (٢)وليس ثمة إذا مجال للمقارنة أو للاحتجاج بقول جاء متأخراً في البيئة الإسلامية"(٣).

قال الجابري متحدثاً عن الآراء في الإعجاز القرآني :" ليس من مهمتنا هنا التأريخ لتطور البحث في هذا الموضوع ولا استقصاء الآراء التي قيلت في إطاره. يكفينا أن نشير إلى أن الأغلبية الكبرى منها تذهب مع الرأي القائل إن سرّ الإعجاز في القرآن هو ما ينفرد به من خصائص على مستوى النظم، نظم الخطاب. وهذه نظرية التقي حولّها كبار المعتزلة كالقاضي عبد الجبار وكبار الأشاعرة كالقاضي الباقلاني وكبار البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني".

قضية الإعجاز القرآني: هذه القضية تكلم عنها العلماء وأسهبوا وعددوا وجوهاً كثيرة لإعجاز القرآن، لكن الأكثرين على أن الإعجاز هو بنظم القرآن أو بيانه وفصاحته.

ولا يقتصر الإعجاز بالنظم على العرب وحدهم، لأنه يشتمل على المعنى المركب في اللفظ بالأسلوب القرآني الفريد، وهذا المعنى متضمن لكل ما يستجد إلى قيام الساعة.

(١) أبو بكر محمد بن الطيب إعجاز القرآن١/٣٠

(٢) الفيدا: أهم كتب الهندوس، وهي كلمة سريانية معناها الحكمة والمعرفة، ومد ارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، وتأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، وتتألف من أربعة كتب(راجا وسم وأثروا ويجور).انظر الموسوعة الميسرة، مانع الجهني٢/٧٢٥.

(٣) فضل عباس شبهات حول نشأة التفسير ص١٧

نعود لكلام محمد الجابري في صفحات سابقة حيث قال:" فإن هذا الإعجاز بقي قائماً، ما دام المخاطبون به هم العرب وحدهم". في سياق الجواب عن ذلك نقول أولاً: القرآن ليس خطاباً للعرب وحدهم، بل هو للعرب وغير العرب، لكن أول من تلقى هذا الخطاب هم العرب، وكلام الله ليس ككلام البشر يقصر عن شمولية المعنى في كل الأحوال والأزمان. «وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (١)«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (٢).

فكلام الجابري غمز في القرآن الكريم، أنه قاصر؛ فيراعي حال المخاطب وقت التنزيل، ولا يلتفت لغيره. وهو خلط بين التحدي والإعجاز، ولا أعلم هل هذا عدم إدراك للفرق بينهما أم أنه شيء مقصود. وسبق التطرق لمسألة التحدي ومراحله والإعجاز ومعناه.

لو قال:" فإن هذا التحدي بقي قائما ما دام المخاطبين به هم العرب لكان ذلك مستقيماً من حيث سلامة المعنى لا من حيث صوابه، فهو أيضاً عير صحيح فالتحدي قائم إلى قيام الساعة لعجز المعارض، وقد ختمت مراحل التحدي بقوله تعالى «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »البقرة(٢٣).

هذه المرحلة التي لم يتعرض لذكرها الجابري توضح له كيف أن التحدي قائم، أما قصره المقصود بالتحدي هو أن يؤتى بمثل ألفاظ القرآن فقط فهذا غير وارد أصلاً فكيف جعله كل التحدي!. ولا أملّ أن أعودَ فأوضح ذلك بكلام مفيد مختصر. من كلام الشيخ فضل عباس في قوله: فإن كان التحدي في المراحل الثلاثة المخاطب به العرب، والعرب كان البيان بضاعتهم والبلاغة سجيتهم، فإن المرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعاً عربهم وعجمهم، وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى خالية من كلمة (من) فلقد جاءت المرحلة الرابعة مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعيض.

ومعنى هذا أن المرحلة الأخيرة كان التحدي فيها للناس جميعاً، ولا يعقل أن

(١) القلم(٥٢).

(٢) الفرقان(١) .

يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده، وإنما هو تحد عم عموم المخاطبين به [1].

وأما قوله : فان هذا الإعجاز بقي قائماً..." إلماح منه إلى بطلان هذا الإعجاز عندما أصبح الخطاب عاماً ، وسأبين عور قوله في نقاط:

٠١ الخطاب القرآني عام للعالمين من أول آية نزلت«وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ للعالمينَ»[2] وقد قصره على العرب وحدهم .

٠٢ أساء التعبير أو قصد الإساءة عندما اعتبر الإعجاز مساوياً للتحدي .

٠٣ قدم الحديث عن المعجزة الكبرى إلى إن قال هنا إن هذا الإعجاز بقي قائماً مادام ... أي كأنه يقول بهذا الربط لا إعجاز للقران الآن .

٠٤ العلماء عندما تكلموا عن التحدي والإعجاز وصفوا واقعاً اقر به العرب، ولم يكن ذلك منهم لمجرد الردود على المخالفين .

قال الجابري:" عندما اتسعت رقعة الإسلام وأصبحت تضم أقواماً من غير العرب صار من الضروري طرح الإعجاز القرآني بالصورة التي يمكن أن يواجه بها غير العرب خصوص أصحاب الديانات المناهضة للإسلام كالمانوية [3]، ومن هنا وسّع علماء الإسلام مضمون الإعجاز ليشمل معانيه.

بناءً على ما قدمه سابقاً من مغالطات بنى مغالطات أخرى كنتائج على ما تقدم من قوله، والرد متصل على هذا الكلام بالرد السابق .

ينتقل من واقع القضية إلى عصر تدوينها بخلط عجيب ما حصل من تكذيب من العرب للإعجاز قوبلوا به بآيات التحدي التي أثبتت عجزهم ثم عمم التحدي للعالمين بآية البقرة هذا واقع حصل .

لا تنظير من العلماء لأبعاد المسالة بحيث أنهم لما توسعت الدائرة غيروا

(١) إعجاز القرآن فضل عباس ٣٣

(٢) القلم (٥٢).

(٣) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم. الملل والنحل، الشهرستاني ٢٤٣/١.

أقوالهم، وبحثوا عما يوافق ما هم فيه، لأن ما قالوه سابقاً لم يعد مقنعاً؟ هذا معنى كلام الجابري .

ننتقل معه إلى ما انتقل إليه حيث انتقل زمنياً إلى عصر تدوين الفنون، وتحدث عن ردود العلماء في قضية الإعجاز .

قال:" صار من الضروري طرح قضية الإعجاز القرآني بالصورة التي يمكن أن يواجه بها غير العرب"

هذا اللماح منه إلى أن الطرح للقضية ليس من واقع حقيقتها وإنما من تصرف المتكلمين بالإعجاز.

قال:" وهكذا أصبحوا ينظرون إلى القرآن على أنه معجز ليس بلفظه فقط بل بمعانيه أيضاً، مستندين في ذلك إلى ما ورد فيه من الإخبار بالغيب، ومن أخبار الأقوام الماضية التي لم تذكر في الكتب السماوية السابقة...إلخ".

أما عن نظرة المسلمين هي واحدةٌ من عند النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخر عاقل فيهم أن القران معجز من كل وجه وما ذلك إلا لأنه كلام الله تعالى المقدس .

ولم يصبحوا على شيء لم يمسوا عليه هي هذه المسالة ، ونظرتهم للقران واحدة .

أما تأليفهم وتصنيفهم في أوجه إعجاز القران هي كثيرة متنوعة ركز كل منهم على ما فقهه من هذه الأوجه من خلال فهم الكتاب العزيز واستقرائه .

هذا الكتاب لا تفنى عجائبه ، فان احدث الخصم شيئاً وجدنا له جواباً من كتاب الله لأنا نؤمن بأنه كلامه المعجز نتحاكم إليه لا نحكمه إلى أقوالنا فنظلمه فلم يتكلم العلماء عن قضية الإعجاز بمعزل عن هذه النظرة .

قال الجابري :" أما الملاحظة الثانية فتخص القرآن كذلك، ولكن ليس من حيث هو معجز، بل من حيث هو «كلام الله». والمسألة التي طرحت على هذا المستوى هي العلاقة بين القرآن كنص مقروء ومكتوب بلغة البشر، سواء اللغة العربية أو اللغة التي قد تترجم إليها معانيه، وبين القرآن بوصفه كلام الله. والسؤال العام الذي طرح في هذا الصدد يمكن صياغته كما يلي: هل القرآن بلغته ونظمه ومصحفه وحروفه هو كُله كلام الله، أم أن معانيه فقط هي وحدها كلام الله؟". سنناقش

الجابري في هذه الفقرة في مسألتين.

المسالة الأولى: ما اتفق عليه العلماء من معنى كلام الله وما اختلفوا فيه.

المسالة الثانية: فرق بين القران العربي وبين ترجمة تفسيره فكيف قال "سواءً اللغة العربية أو اللغة التي ترجم إليها معانية ! وهل اللفظ المنزل كالمعنى المترجم !. يتطلب هذا الكلام أن نتحدث عن معنى كلام الله تعالى. الأمر المتفق عليه بين المحققين أن القران كلام الله تعالى ، لكن اختلفوا في تحديد معنى الكلام المنسوب إلى الله تعالى فقال المتكلمون المقصود بكلام الله تعالى الكلام النفسي لأنهم قالوا بالصفات النفسية لله تعالى، ولا نهم يقولون إن كلام الله غير مخلوق مخالفين المعتزلة في ذلك – تعالى الله عما يقولون .

أما المحدثون والأصوليون والفقهاء وعلماء اللغة فيطلقونه على الكلام اللفظي فهو عندهم " اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر الناس ".وأراد بعضهم أن المكتوب هو كلام الله [1].

الحق إن هذه مسألة حادثة شائكة، وفق المقدمات المطروحة ليس لها حل . لكن المؤمن يؤمن أن القران كلام الله تعالى بمعناه ولفظة وكفى دون أن يخوض بعقله فلا يهتدي .

وأحسن ما قيل في ذلك قول الإمام البخاري الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ[2].

بعد هذا العرض الموجز يتبين أن القدر المتفق عليه بين العلماء هو أن القران كلام الله منهم من قال النفسي ومنهم من قال اللفظي لكن لا خلاف بينهم في أثبات أن كلام الله هو ما عرفناه جميعاً بمعناه ولفظة لذلك قال المتكلمون " انه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس" [3].

أما قول المعتزلة انه مخلوق وان كان للخروج من الخلاف فهو باتفاق المحققين مردود .

(١) انظر مناهل العرفان، الزر قاني ص ١٨.

(٢) انظر خلق أفعال العباد، البخاري ص ١٠٦ رقم: ٣٧٨.

(٣) انظر مناهل العرفان، الزر قاني ص ١٨.

نعود لكلام الجابري:"العلاقة بين القرآن كنص مكتوب بلغة البشر سواء اللغة العربية، أو اللغة التي قد تترجم إليها معانيه وبين القرآن بوصفه كلام الله"

إن القرآن الكريم أنزل باللغة العربية (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) لذا كان لفظه ومعناه هما ما يطلق عليهما القرآن، فغير جائز المساواة بين لغة القرآن الوارد فيها لفظه ومعناه وبين معناه المترجم إلى أي لغة أخرى كما فعل الجابري.

وصنيعه هذا فيه إجابة على ما طرحه سابقاً من تساؤلات وعرضه من مقدمات حول ترجمة القرآن، فإذا سوّينا بين القرآن وترجمته هذا يعني أن كلاهما قرآن وهذا باطل.

المبحث الثاني : الأحرف السبعة والقراءات

المطلب الأول: القرآن الكريم ولغة قريش.

قال الجابري:" القول في مسألة .... ترجمة القرآن داخل اللغة العربية نفسها! ذلك أن اللغة العربية، كما ننطق بها اليوم، وأعني اللغة الفصحى كما دونت قواعدها وضبط النطق بها في عصر التدوين، العصر العباسي الأول، لم تكن معممة زمن الدعوة المحمدية على بلاد العرب جميعاً، بل كانت القبائل العربية تتكلم «لغات» –وكما نقول اليوم لهجات– تختلف عن بعضها كما تختلف اليوم العاميات العربية بعضها عن بعض. بل يمكن القول إن اختلاف هذه العاميات إنما هو امتداد أو انعكاس، لاختلاف لغات القبائل العربية زمن البعثة المحمدية".

أولاً: إذا تقرر أن لفظ القرآن معجز فلا جواز تبديله حتى بلفظ عربي مرادف.

ثانياً: اللغات العربية كلها فصيحة ذلك أن القرآن نزل على سبعة أحرف

ثالثاً: فصاحة اللغة تتعلق بلفظها لا برسمها، وهي موجودة عند العرب حتى قبل الإسلام.

رابعاً: لغة قريش هي التي لم تكن معممة زمن الدعوة على بلاد العرب جميعاً ذلك أنه منذ العهد المدني حتى قبيل الجمع العثماني كانت الأمة تقرأ القرآن على أحرف سبعة نزل بها القرآن تيسيراً على الناس.

خامساً: اختلاف العاميات اليوم إن كان راجعاً إلى جذر عربي فهو اختلاف تنوع مقبول أما إن كان بسبب الاختلاط بالأعاجم فهو مسخ اللغة العربية وغير

مقبول.

أما اختلاف لغات القبائل قديماً فهو اختلاف تنوع لجذور واحدة كلها فصحى.

سادساً: صحيح أن اختلاط القبائل بسبب الفتوحات والهجرات سبب في اختلاط اللغات لكن سبب فشو لهجة قريش ورواجها هو أنها حوت كل لغات العرب فتناقلها العرب إلى أنحاء الجزيرة عندما كانوا يرجعون من الحج ومن رحلات التجارة.

أما العلاقة بين كلام الله ولغة البشر المقروءة والمكتوبة التي نزل بها القرآن وهي العربية، فهي قضية مشكلة لأن أحد جانبيها يتعلق بعلم الله وعلم الله غيب لا سبيل لعقل الجابري ولا عقول الإنس والجن مجتمعين إليه، لكن المؤمن يتوقف وغيره يقتحم.

وإنما عرض الجابري- والله أعلم- لهذه المقدمة حول كلام الله ليأخذ العقول إلى الإجابة عن السؤال الذي سيطرح بعد هذا التقدم لتقول أن معاني القرآن هي وحدها كلام الله ، وبذلك يجد شرعية القول بترجمة معاني القرآن وهي القضية الأولى في هذا الباب.

قال الجابري: هل القرآن بلغته ونظمه ومصحفه وحروفه هو كلام الله أم أن معانيه فقط هي كلام الله ؟"

قبل الإجابة أطرح عليه سؤالا: لماذا أغفل أقول العلماء حول مسألة كلام الله!؟.

إنما جل ما قال تساؤلات تثير العقل في مسئلة مبحوثة، سابقا فكان الأولى أن يبين المسألة على أصولها لا أن يطرحها كأنه هو أول من تطرق إليها فيضلل القاري بذلك.

أما ما طرحه من سؤال فهو بالنظر في الأقوال في المسألة، غير صحيح ويمكن صياغته على الوجه الصحيح في ثلاثة أسئلة:

هل القرآن بلغته ونظمه كلام الله ؟ والإجابة باتفاق العلماء نعم.

هل القرآن في مصحفه وحروفه كلام الله؟ الإجابة باعتبار خلاف العلماء نعم، وماذا نقول في المنطوق والمكتوب؟ نقول كما قال الإمام البخاري الكلام كلام الباري و الصوت صوت القاري. إذا كانت الإجابة بالإيجاب عن السؤالين السابقين، فما الدافع إلى الخيار الذي طرحه عقبهما فقال:" أم أن معانيه فقط هي وحدها كلام

الله؟ إلا أنه يرى أن لغة القرآن ونظمه وحروفه ومصحفه لا تسمى كلام الله ، فأوحى إلى القارئ بالإجابة دون أن يصرح بها حتى يسوق عقله بترتيب منطقي إليها، إذا يكون السؤال الثالث هل معاني القرآن وحدها كلام الله؟ الإجابة باتفاق قطعاً لا، ليست وحدها كلام الله بل هي ولفظ القرآن العربي ما يسمى كلام الله.

قال الجابري:" كيف كانت علاقة القرآن كنص لغوي نزل بلغة قريش بدليل قوله تعالى«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ»وقومه هم قريش من دون منازع. أقول كيف كانت علاقة القرآن بلغات القبائل العربية الأخرى، غير القرشية؟"

بالنسبة للغة قريش فهي أفصح اللغات [1] . ولم يكن العرب على اختلاف مواطنهم من الجزيرة ينكرون أغلبها لأن العرب كانوا يفدون إلى مكة حاجين أو متاجرين قال تعالى « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) قريش(١-٢).

وبذلك لا عجب أن يكون أول نزول للقرآن بلغة قريش لأنها الجامعة لكل اللغات العربية، فعلاقة لغة قريش باللغات الأخرى علاقة الأم بأبنائها لا ينكرونها.

تـــابع الجابـــري كلامه في هذا الخصوص ليقول:" لكي نقترب من المسألة التي نريد الوصول إليها نشير إلى أن الدعوة المحمدية التي بدأت سرية لا تتعدى في الغالب محيط أم القرى ومن حولها سرعان ما اتسعت دائرتها، بعد انتقالها من الدعوة السرية إلى العمل العلني". صحيح أن الدعوة بدأت سرية مدة ثلاث سنوات لكنها كانت في هذه الأثناء داخل مكة فقط في دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث أسلم بها عدد من الصحابة [2].

فالجابري يقول عنها في محيط أم القرى ومن حولها، كأنه يشير إلى الآية «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» ﴿الشورى:٧﴾. وهذه نزلت بعد «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»[3]

(١) انظر الصاحبي، فقه اللغة: ص ٣٣.

(٢) ابن هشام سيرة ابن هشام ص٢٥/١.

(٣) المدثر(١).

إذا فهي بعد الدعوة السرية فلم تكن الدعوة السرية إلا في مكة فقط.

قال الجابري: " لقد كانت مكة مركزاً دينياً كانت القبائل العربية غير القرشية تحج إليه لزيارة أصنامها وتقديم الهدايا لها، وكانت مكة كذلك مركزاً تجارياً تقام فيه أسواق موسمية تقصدها مختلف القبائل العربية للتزود والتبادل التجاري...إلخ، وكان النبي يعرض نفسه-أي دعوته- على القبائل في أوقات هذه الأسواق، وكتب السيرة تنقل إلينا كثيراً من أخبار هذه اللقاءات التي كان يجريها النبي مع مختلف القبائل الوافدة على مكة، وهي لقاءات كان يقرأ خلالها على مخاطبيه آيات أو سوراً من القرآن. أما أن يكون المستمعون إلى النبي من القبائل الأخرى يفهمون القرآن، على الأقل كما يفهمون لغة قريش، فهذا ما لا شك فيه".

هذه الفقرة من كلام الجابري تحتاج إلى عدة وقفات: قال إن القبائل الوافدة تأتي لزيارة أصنامها وتقدم الهدايا هذا في الحج والواقع أنها كانت تحج إلى البيت الحرام لتطوف بالكعبة المشرفة وإن كانت تحوي على الأصنام«مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» [الزمر:٣]. فهم كانوا يعبدون رب البيت وهم مشركون لذا كانوا يحجون للطواف بالبيت بدليل أن أبرهة الأشرم أراد هدم الكعبة، لأنها كانت قبلة العرب ذلك ليجعلهم يحجون إلى القليس[1]. أما الأصنام فكانوا يشترونها ويأخذونها معهم.

ثم ذكر أن الوافدين الذين كان يعرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم دعوته أنهم كانوا يفهمون القرآن كما يفهمون لغة قريش وقال هذا مالا شك فيه. يجيب هو هنا على التساؤل الذي طرحه في أول هذه الفقرة عن علاقة القرآن كنص لغوي بلغة قريش بلغات القبائل الأخرى.

ما نود أن نناقش الجابري فيه قوله:"ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا لا يتعلق بعملية السماع والفهم، أي التلقي، بل يخص قضية إعادة إنتاج نفس الكلام الذي سمعوه من النبي، سواء لأنفسهم أو لذويهم، أو كمساهمين في نشر الدعوة. إنهم في هذه الحالة سيقرؤون القرآن بلغتهم، فيقولون مثلا بدل«قال»: «كَال»، بالقاف المعقوفة (الجيم المصرية)، أو «غال» بـ «الغين»، أو(آل) بـ «الهمزة» إلخ، كما تفعل شرائح اجتماعية كثيرة في جميع الأقطار العربية تقريباً. وقس على

(١) السيرة النبوية،ابن كثير ص١/١٤.

هذا نطق أهل الخليج بـ «شيناً»، خصوصاً أهل العراق والكويت، ونطق المصريين بالذال زاياً إلخ. ليس هذا فحسب، بل من الممكن أن «يترجم» أهل قبيلة معينة بعض ألفاظ القرآن المنطوقة بلغة قريش، إلى ما يرادفها في لغتها الخاصة، فيقولون مثلاً: «هلم» بدل «تعال»، أو «أقبِل» بدل «إئت»!".

أقول معلوم أن العرب كانوا متميزين بصفاء أذهانهم وقوة حافظتهم هذا لايحتاج إلى بيان، وكما قال الجابري أنهم كانوا يفهمون لغة قريش وهذا مالا شك فيه.

بعد هذا ما الدافع لهم إلى تغيير لفظ القرآن الذي سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم إنهم لن يكونوا مضطرين إلى ذلك للنسيان أو لعدم الفهم خصوصاً وإنهم كانوا يأخذونه مكتوباً معهم في صحف أحياناً.

ولكننا نوافق الجابري بأن ذلك قد يحصل فيقرأ أحدهم القرآن بلسانه بدافع غلبة الطبع عليه، ولكن السؤال هل يقرون على ذلك بأنه لفظ قرآني

الجواب، أن لا. إن هدف الدعوة في البداية هو نشر الدين ولم يكن الشأن آن ذاك ضبط تلاوة القرآن ونشرها على وجهها الصحيح في الآفاق، لذا تأخر نزول الأحرف السبعة إلى العهد المدني، أي بعد ثلاث عشر سنة- وسيأتي الكلام عنها لاحقاً - وهي إنما نزلت لتيسير التلاوة.

قال الجابري:" مثل هذه «الترجمات» لنص إلهي مقدس إلى لغات القبائل العربية غير القرشيه التي نزل بها، لم تكن لتمر من دون أن تثير الانتباه، خصوصاً إذا كان النبي نفسه يقرأ القرآن بلغة القبيلة التي كان «يعرض نفسه» عليها في الأسواق أو خارجها. ففي مثل هذه الحالة لا بُدّ أن يسمع بعض صحابته القرآن منه – أو من بعض من أقرأهم من هذه القبائل- على «لغة» غير التي كانوا قد سمعوها هم منه. وقد حدثت حالات من هذا النوع..".

أولاً: قال إن النص القرآني القرشي إلهي مقدس

فكيف يجوز لمن يسمعه أن يقرأه على غير لفظه الذي علمه، مع علمه أنه مقدس!

وكيف وهو مقدس سيقرؤه النبي صلى الله عليه وسلم بلغة غير التي نزل بها،

فهل سيتصرف به النبي صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه عندما كان يعرضه على العرب من غير قريش!.

النبي صلى الله عليه وسلم قرشي فكيف سيقرأ القرآن بلغات أخرى غير لغة قريش إذا لم تكن وحياً لأنه لا يعلمها إذا لم تكن وحياً.

ثانياً: سياق كلام الجابري يتحدث عن الدعوة قبل الهجرة بدليل أنه ذكر الوفود إلى مكة والأسواق الموسمية للتجار..، وهنا يقول وقد حدثت حالات من هذا النوع أي قراءة القرآن بلغات أخرى وقصد الأحرف السبعة ــ كما سيأتي ــ .

ومعلوم أن بداية نزولها في العهد المدني فكيف سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن أقرأه النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزولها!! أم أن الجابري يرى أنها نزلت قبل الهجرة وإذا كان كذلك كان عليه بيان أقوال العلماء وإثبات رأيه بالدليل.

وفي أثناء كلامه السابق أفاد أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يعرض نفسه كان يقرأ القرآن بلسان قريش بدليل قوله:" أما أن يكون المستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم من القبائل الأخرى يفهمون القرآن على الأقل كما يفهمون لغة قريش فهذا لا شك فيه.

ويؤيده قوله:" لكن السؤال.. يخص قضية إعادة إنتاج نفس الكلام الذي سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم [1]

ثم في آخر الفقرة قال:" خصوصاً إذا كان النبي نفسه يقرأ القرآن بلغة القبيلة التي كان يعرض نفسه عليها في الأسواق أو خارجها .. "

يتضح كيف أوقع نفسه في تناقض واضح وفي نفس الصفحة وهذا إما تدليس واستخفاف في عقل القارئ أو عدم إدراك لما يكتب.

المطلب الثاني : نزول القرآن على سبعة أحرف.

قال الجابري:" يمكن للمرء أن يشك في صحة هذه الأحاديث ما دامت أحاديث آحاد. ولكن الذي لا يمكن الشكُ فيه هو أن الرواة والمفسرين والمتكلمين والفقهاء قد انشغلوا بهذا الموضوع واتخذوا الأحاديث التي ذكرنا مرجعية لهم. وهذا يدل على

(١) الجابري، المدخل ص ١٧٢.

أن هناك فعلاً في القرآن ما يستوجب الانشغال بهذا الموضوع، وأن مسألة «الأحرف السبعة» من صميم موضوعات البحث في ما سمي في ما بعد بعلوم القرآن، وأن الأحاديث المروية في الموضوع تجد صدقيتها الموضوعية –إن لم يكن التاريخية– في ظهور الحاجة إلى البحث والانشغال بما قررته".

أقول: قضية نزول القرآن على سبعة أحرف أمر متفق عليه عند العلماء ولا يستطيع أحد أن ينكرها لأنها وردت في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر المعنوي [1].

لكن الخلاف متى كان نزولها هل هو في العهد المكي أم المدني والتحقيق أن بداية النزول كانت في العهد المدني بعد الهجرة [2].

قال الجابري: "وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، ثُمَّ لم أزل أستزده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» كما رويَ عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة». ذكر الجابري حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه. مع هشام بن حكيم الذي أخرجه البخاري [3].

وتابعه بحديث آخر أخرجه الشيخان في نزول القرآن على سبعة أحرف. ثم قال. كما رويَ عن أبي هريرة ... وساق الحديث وهو في نفس المعنى، ولم يخرج هذا الحديث المروي عن أبي هريرة[4]. والشاهد: انه صدر حديث أبي هريرة بصيغة من صيغ الأداء عند المحدثين وهي ﴿روي﴾ التي تدل غالباً في عرفهم على التمريض وعدم التحقق من صحة هذا الحديث وكان الأجدر به أن يخرج هذا الحديث ليعلم أنه صحيح السند كسابقيه فيروى بصيغة الجزم، حتى لا يوهم القارئ

(١) اخرج البخاري في صحيحه، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم٤٧٠٥، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف رقم٢٧٢.

(٢) إتقان البرهان ص ٦٠.

(٣) سرق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب الزجر عن كتبة المرء،رقم٧٤،قال الأرنؤوط صحيح على شرط الشيخين.

أنه ضعيف [1].

قال الجابري بعد ذلك: يمكن للمرء أن يشك في صحة هذه الأحاديث ما دامت الأحاديث آحاد... وكلامه هذا خطير من وجوه.

١. أن الأحاديث التي ساقها وخرجها مرويةٌ عن البخاري ومسلم والأمةُ مجمعةٌ على أنهما أصح كتابين بعد القرآن ... وكلامه حول الشك في صحتها غمز في الصحيحين.

٢. أن أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ليست أحاديث آحاد بل هي ــ كما مر ــ متواترة تواتراً معنوياً.

٣. على فرض أنها آحاد فلا موجب للشك بها كما زعم لصحة سندها وتخريج الشيخين لها، من جهة أخرى فإن حجية خبر الآحاد في العقائد كما هي في الأحكام وهذا هو القول الذي عليه العمل [2].

---

(١) انظر كتب مصطلح الحديث، على سبيل المثال الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح أبو إسحاق الأبناسي،ت : ٨٠٢هـ)ص١٠١ .

(٢) انظر كتاب حجية خبر الواحد، محمد عويضة ابتداءً من صفحة ٧٣-وقد فصل الكلام في حجية خبر الآحاد أبو عبدالرحمن القاضي برهون في كتابه خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته حيث أورد الخلاف فيه بين المنكرين والآخذين به فمن المنكرين من انكر الأخذ به مطلقاً ومنهم المعتزلة انظر في ذلك قول أبو الحسين الخياط المعتزلي " ت ٣٠٠هـ " وقد ألف في نبك مؤلفاً وهو كتاب " الرد على من أثبت خبر الواحد" انظر في ذلك " الفرق بين الفرق صـ١٣٦ ومن المنكرين له مطلقاً ايضاً الخوارج والشيعة وموقفهم من السنة عموماً وخبر الواحد خاصة معلوم " وقد جمع القاضي برهون منكري الاحتجاج بأحاديث الآحاد باطلاق وهم الخوارج ، والشيعة ، والرافضة ، والمعتزلة ، والجهمية ، وعيسي بن أبان ، ومحمد بن اسحاق القاساني ، ومحمد بن داود الظاهري ، والنهرواني وإبراهيم بن إسماعيل بن علية ، والأصم ، والقاضي ابو زيد عبدالله الدبوسي خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته – أبو عبد الرحمن القاضي برهون – ط أضواء السلف – الثانية -١٤١٩-١٩٩٩م ١/٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩ والفرسق الثاني أنكر الاحتجاج بها في العقائد وهم بذلك يحتجون به في الأحكام دون العقائد ومنهم إمام الحرمين فهو لايرى الاحتجاج بها في العقائد لأنه يقول بعدم إفادتها العلم ورد على من سماهم الحشوية نفس المصدر صـ٣٩٣ والجمهور يرون وجوب العمل دون العلم والحنابلة يرون أن خبر الواحد يوجب العلم دون العمل والحاصل أنه إن احتف بالقرائن وجب العلم به والعمل انظر في ذلك كتاب قضايا حديثية – دأشرف خليفة السيوطي – طبعة مكتبة الشيخ للتراث -٢٠٠٤م الأولى ــ٣١٨ ومابعدها وقد صنف الشيخ الألباني كتاباً جيداً فيحجية خبر الواحدفي العقائد أورد فيه الأدلة واعتنى بذكر موضع الشاهد فيهاانظر حجية خبر الآحاد في العقيد ة محمد ناصر الدين الألباني – دار-

قال الجابري:" يمكن للمرء أن يشكَ في صحة هذه الأحاديث ما دامت أحاديث آحاد. ولكن الذي لا يمكن الشك فيه هو أن الرواة والمفسرين والمتكلمين والفقهاء قد انشغلوا بهذا الموضوع واتخذوا الأحاديث التي ذكرنا مرجعية لهم".

في كلامه هذا إشارة إلى أن المفسرين والمتكلمين والفقهاء قد انشغلوا في مسألة مشكوك بها ــ على حد قوله ــ وبنوا عليها وجعلوا أحاديث الأحرف السبعة مرجعية لهم. وهذا يعني أنهم لأطباقهم على هذه الأحاديث والتعامل معها كلٌ في مجاله هو دليل صحتها، ودفع الشك الذي زعمه عنها. وليست هذه طريقة العلماء في قبول الأخبار، فضلا عن أن العلماء لم يجعلوا هذه الأحاديث مرجعية في كلامهم إلا لثبوت صحتها سنداً ومتناً.

المطلب الثالث: الأحرف السبعة غير القراءات السبع.

قول الجابري:" هناك من يذهب إلى أن المقصود بـــ «الحروف»، في الموضوع الذي نحن بصدده، هو القراءات، فتكون الأحرف السبعة هي القراءات السبع. وإذا كان هذا الرأي ينسب إلى الخليل بن أحمد واضع علم العروض، وهو من أوائل المقعدين للخط العربي، فإن شخصيات علمية ذات وزن في هذا المقام، مثل الطبري، وقد اعترض عليه بكون « اختلاف القراء إنما هو كله على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عليه المصحف»".

قد يتبادر إلى الأذهان أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، وهذا عند العامة من الناس الذين يجهلون حقيقة كلا الأمرين، لكن ذلك لم يكن رأياً معتمداً لأحد من أهل العلم أبداً [1].

معلوم أن قضية الأحرف السبعة كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأن تسبيع القراءات على يد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤) كان في القرن الثالث، وأن الخليل ابن أحمد (ت:١٧٠) متقدم عليه فلا يعقل أن يكون مقصده أن الأحرف السبعة هي

المعارف – وانظر حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام – دعبدالله عبدالرحمن الشريف – ندوة هناية المملكة العربية بالسنة والسيرة ١٤٢٤هـ

(١) انظر منجد المقرئين،ابن الجزري ص٢٨.

ما سبعه ابن مجاهد في القرن الثالث[1].

وسأنقل ما قاله الشيخ المعصراوي حول هذه المسألة:"وأحب أن أوضح رأي العلامة الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو بلا ريب إمام اللغة وحجة النحاة، ولا شك أن انفراده بالرأي هنا لم ينتج من قلة إحاطة أو تدبر ومثله لا يقول الرأي بلا استبصار، وانفراد مثله بالرأي لا يلزم منه وصف الرأي بالشذوذ أوالوهن!... ولم يكن الخليل بن أحمد يعنى بالطبع هذه القراءات السبع التي تظاهر العلماء على اعتمادها وإقرارها بدءً من القرن الرابع الهجري، ولكنه كان يريد أن ثمة سبع لهجات قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وتلقاها عنه أصحابه، ومن بعدهم أئمة السلف، وهي تنتمي إلى أمهات قواعدية لم يتيسر من يجمعها بعد وأنها لدى جمعها وضبطها ترجع إلى سبع لهجات، وفق حديث النبي صلى الله عليه وسلم «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»" [2].

الثاني: أنهم انشغلوا في أمر مشكوك فيه وغير ثابت، وهذا غمز في العلماء، واتهام لهم بالعبثية.

قال:"وأن الأحاديث المروية في الموضوع تجد مصداقيتها الموضوعية ــ إن لم يكن التاريخية ــ في ظهور الحاجة إلى البحث والانشغال بما قررته".

إن هذه الأحاديث أخذت مصداقيتها كون العلماء صححوها بتحقق أسانيدها ومتونها، ولم يكن تصحيحها كما زعم " في ظهور..." لأن ما قررته ثابت سنداً أما الحاجة في بحث موضوعها فهي مما لا يضر المسلم فوات علمِه، لكن دراسة العلماء لهذه المسألة والمسائل الشبيهة بها، دفعاً لما ورد حولها من اعتراضات وشبه فظهرت حاجة بحثها في علوم القرآن وغيرها.

قال الجابري:" وإذا كان هـــــذا الرأي ينسب إلى الخليل بن أحمد واضع علم العروض، وهو من أوائل المقعدين للخطاب العربي، فإن شخصيات علمية ذات وزن في هذا المقام، مثل الطبري، قد اعترض عليه بكون اختلاف القراء إنما هو كله على حرف واحد من الأحرف السبعة"

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) لحمد المعصراوي،مقدمة تحقيق كتاب البدور الزاهرة للنشار ص ٢١.

فإذا كان الفراهيدي بريء من قضية الخلط بين الأحرف السبعة والقراءات السبع [1] ، فيعلم حينها أن الإمام الطبري شيخ المفسرين لم يعترض عليه ــ على حد قول الجابري ــ فقد أظهر الجابري تعارضا بينهما، مع أن ما أراد نسبته للخليل رأي لم يقل به أحد ولا يحتاج إلى معارضة ، فضلاً من أن يعترض عليه الطبري.

أما رأي الإمام الطبري في معنى الأحرف السبعة، وهو أن الأحرف السبعة سبع لغات متفقة من حيث المعنى، مختلفة في اللفظ [2]فهو الرأي الذي رجحه جلة العلماء وجمهورهم والمحققون منهم قديماً وحديثاً، وأذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر : سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطحاوي وابن عبد البر والقرطبي وابن تيمية.

المطلب الرابع : القراءات المتواترة والشاذة

قال الجابري:" موضوع «القراءات» من الموضوعات التي اهتممت بها علوم القرآن اهتماماً زائداً، وهي في المشهور سبع، وقد وصل بها بعضهم إلى عشر وزاد آخرون فجعلوها أربع عشرة". يوحي كلام الجابري إلى أن اختيار القراءات كان بحسب وجهات نظر خاصة والحق إن ذلك راجع إلى تواتر النقل ووفق قواعد اتفق عليها العلماء ــ سيأتي الكلام عنها ــ

وما يستوقفني من كلام الجابري هو أنه خلط بين ما هو متواتر من القراءات وبين ما هو شاذ وهو باتفاق العلماء ليس بقرآن [3].

قال الجابري:" من ذلك ما ذكره بعضهم من أنّه تدبَّر وجوه الاختلاف في ألفاظ القرآن فوجدها سبعة هي:...". وذكرها. وسأذكر بعض ما أورده لأن فيه موطن الشاهد : قال :

- ومنها ما تتغير صورته ولا يتغير معناه ﴿كالعهن المنفوش﴾ و«الصوف المنفوش».
- ومنها ما تتغير صورته ومعناه مثل ﴿طلح منضود﴾ و«طلع».

(١) انظر الصفحة السابقة.

(٢) انظر مقدمة تفسير الطبري ٥٨ .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري٥٤

- ومنها ما يختلف بالتقديم والتأخير مثل ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ و«وسكرة الحق بالموت».

- ومنها الزيادة والنقص مثل ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾، و«صلاة العصر»

ثم قال:"واضح أن الأمثلة المذكورة داخل هذا التصنيف هي قراءات معترف بها. بمعنى أنها كلها قرآن، وإن اختلافها لا يترتب عنه اختلاف في القرآن، وإنما هي من قبيل التعبير عن المعنى الواحد، بأنواع من الإعراب أو بألفاظ متنوعة".

الواضح أحد أمرين الأول أن يكون محمد الجابري غير مطلع على القرآن بقراءاته المتواترة العشر بإجماع الأمة والتي لم يثبت غيرها، فجعل منها ما ذكره ابن قتيبة مما هو شاذ لا يعتبر قرآنا(١).

أو أنه غير موافق على اختيار العلماء لهذه العشرة فقط فيريد أن يجعل منها أي لفظ منقول وقل ربما غير منقول ذلك لقوله:"وإنما هي من قبيل التعبير عن المعنى الواحد، بأنواع من الإعراب أو بألفاظ متنوعة".

ومعلوم أن هذا غير صحيح لأن القراءات سنة متبعة يجب قبولها والمصير إليها متى ثبتت نسبتها للمعصوم صلى الله عليه وسلم وتواتر نقلها فلا يردها صحيح إعراب ولا فشو لغة وليست استحساناً من القراء.

قال أبو عمر بن العلاء:" وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. (٢).

أو أنه على ذكر من ذلك لكنه بجعلها من القرآن قد دلس على القارئ وأسقط في نفسه أنها من كلام الله تعالى.

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة٢٨ وما بعدها.

(٢) ابن الجزري، النشر ص ٢٠.

المبحث الثالث : الإعجاز والمعجزات.

المطلب الأول : نظريات في إعجاز القرآن

سبق الحديث عن آيات التحدي وإنها جاءت لتثبت إعجاز القرآن البياني، لكن ظهرت نظريات أخرى في الإعجاز، ذكر منها الجابري الصرفة وقد سبق الحديث عنها.

قال الجابري :" أما الجانب الآخر من القرآن ،الجانب البلاغي جانب اللفظ ونظم الكلام ، فمنهم من اعتبر القرآن معجزاً بذاته. بمعنى أن البشر عاجزون بطبيعتهم عن الإتيان بمثله. ومنهم من اعتبره معجزا بتدخل الإرادة الإلهية التي منعت العرب وصرفتهم عن الإثبات بشيء مثله وقد عرف هذا الرأي بالقول بالصرفة وينتمي إلى النظام ...قوله " أي النظام "

.....(والآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، أما التأليف والنظم فقد يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم وعجز أحدثهما فيهم".(١).

ذكر الجابري هذا الكلام عن القول بالصرفة وعدها من النظريات التي جاءت لتبين إعجاز القرآن ولئن كان هذا الإعجاز حاصلاً فإن العلماء قد ردوا القول بالصرفة ــ وقد سبق الكلام عنها ــ فكان على الجابري أن يبين رأي العلماء فيها ومعلوم أن الصرفة مرفوضة حتى عند تلاميذ النظام(٢). ثم تكلم الجابري عن نظرية النظم موضحاً رأي الباقلاني فيها؛ ومفاد قوله هو أن مكمن الإعجاز في القرآن أنه بديع النظم عجيب التأليف (٣).

أراد الجابري من ذكر نظرية النظم تقرير أن القرآن الكريم إعجازه ذاتي، و

(١) أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة قصور الثقافة – القاهرة –١٤٢١هـ ،١/٢٩٦

(٢) انظر أعجاز القرآن، فضل عباس، ابتداءً من صفحة٣٧،وقد ناقش الدكتوردعوى نسبة الصرفة للنظام ودافع عنه وبين أنها لاتثبت عنه على الوجهالذي نسبت إليه من الأشاعرة ،ينظر بحث إعجاز القرآن بالصرفة دراسة ناقدة- إعداد محمود توفيق محمد سعد الأستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد في جامعةالأزهر الشريف .

(٣) انظر الجابري ١٦٧

لإن كان هذا حق، فقد أريد به باطل، لأن الجابري يريد من إقرار هذا الأمر إبطال أي معجزة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم، كما سأبينه بالمطلب التالي.

المطلب الثاني : المعجزات

بعد أن تكلم الجابري عن إعجاز القرآن، تكلم عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لا يعتبرها معجزات جاءت لإثبات النبوة، بل إنه يشكك في حدوثها.

قال الجابري:" إذا كان القرآن لايحتاج إلى معجزة من خارجه تؤيد صدق كونه منزلاً من عند الله، بل هو نفسه يحمل معه برهان إعجازه، كما قررنا من قبل فما القول في «انشقاق القمر» وفي "الإسراء والمعراج" وأمور أخرى يذكرها الرواة ؟".

بخصوص أن القرآن يحمل معه برهان إعجازه،هذا كلام لاغبار عليه أما المعجزات الأخرى التي لايعتبرها الجابري معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم، وسماها أموراً أخرى.

كانشقاق القمر والإسراء والمعراج ، فهذه معجزات حسية جاءت تؤيد صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي براهين من الله لنبيه ولم تأت لتصدق القرآن كما قال الجابري. ذكر القرآن حادثةَ انشقاق القمر والإسراء والمعراج وهذا دليل صدقها وأنها حدثت، كما أنها وردت في أحاديث صحيحة .

وبخصوص هاتين المعجزتين تحديداً، فهو ما سنناقش الجابري فيه في موضعه من كلامه ــ إن شاء الله ــ .

ثم إنه نسب هذه التي سماها أموراً إلى الرواة فقال وأموراً أخرى يذكرها الرواة ومعلوم أن المسلمين، ابتكروا علماً لم تعرفه الأمم قبلهم وهو علم الحديث بنوعيه الذي لايترك حديثاً حتى يمحص سنده ومتنه، فليست هذه المعجزات من عند الرواة أنفسهم وإنما هي مروية بأسانيد ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال:"ووضح أننا هنا أمام إغلاق نهائي لمسألة إمكانية تخصيص خاتم النبيين والمرسلين بمعجزة من جنس ما طالبت به قريش. لقد قررت الآية أن القرآن كاف وحده كمعجزة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم أنهت الجدل في الموضوع بأن

خاطبت النبي(صلى الله عليه وسلم) أن: ﴿قُل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾. وقد أفصح النبي(صلى الله عليه وسلم) عن هذا المعنى في حديث ورد في صحيح مسلم، قال فيه: «ما من الأنبياء من نبيّ إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحي الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة»".

قلت: القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلم، وإنما كان قول الله تعالى السابق الذكر الذي استشهد به الجابري، جواباً لهؤلاء، لأن المعاند لا ترضيه أي آية ولو كانت حسية، بعد أن قوبل بآية عظمى وأقر بها وعجز أمامها، لذلك قال تعالى«وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ*لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ »[1] هذا حال كفار قريش وحال كل معاند إلى يوم القيامة.

ثم إنهم اتهموا النبي صلى الله عليه و سلم ابتداءً فقالوا ساحر أو مجنون، فأي آية حسية تأتيهم سيقولون عنها سحراً، وليس القرشيون يُعرفون بالسحر، كقوم فرعون الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام، حتى إذا ما أتاهم النبي صلى الله عليه و سلم بآيات حسية يعرف السحرة أنها ليست سحراً بما علموه عن السحر، وأنها خارقة للناموس فيؤمنوا «وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ*قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» الأعراف(١٢١ــ١٢٠).

أما أنهم أقروا بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم في نفوسهم، فنعم. وإن أظهروا عناداً واستكباراً كفرعون«قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» الأعراف (١٢٣).

وكما قال أبو طالب لمحمد صلى الله عليه و سلم لما كان هو وعلى رضي الله عنه فمر عليهما فدعاه للإسلام فقال:" ما بِالَّذِي تَقُولانِ بَأْسٌ وَلَكِنْ [وَاللَّهِ] لا تَعْلُوَنِي استِي أَبَدًا "[2].

إذا والحال هذه فليسوا بحاجة إلى آيات ولو أتت لبقوا على عنادهم، وقد بوب

(١) الحجر(١٤-١٥)

(٢) انظر: غاية المقصد في زوائد المسند للحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي٢/١٣٣٢

البخاري رحمه الله في كتابه الجامع فقال: باب ﴿ وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ﴾ ومعلوم فقه الإمام في اختيار عناوين الأبواب.

فهذا هو سبب جواب الله تعالى لهم ، أما أن محمد صلى الله عليه وسلم خصص بآيات حسية خارقة للكون فهذا لا ينكره إلا جاحد للواقع، وللروايات الثابتة، وللتاريخ.

قال الجابري:" ولمعترض أن يقول هناك ظواهر من قبيل المعجزات الخارقة للعادة مروية عن بعض الصحابة. من ذلك ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، وما روي بشأن الإسراء والمعراج. وهذه أمور ناقشها القدماء من العلماء والمفسرين، والآراء فيها مختلفة، وهي كلها تراث لنا، ومن حقنا بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا".

بالنسبة لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج فهي قطعية الثبوت، ومثل من يماري فيها الآن كمثل أولئك الذين لم يؤمنوا بها وقد رأوها رأي العين ولم يقروا بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله تعالى.

كثيراً ما يقول الجابري في كلامه «القدماء» ــ سبق توضيح ذلك ــ إغفال منه لدور العلماء المعاصرين، في هذه القضية تعمية للحقيقة، التي تقول بأن انشقاق القمر والإسراء والمعراج وباقي المعجزات الثابتة، كلها مما أجمعت عليه الأمة، قديماً وحديثاً لثبوتها بالإضافة إلى القول في السنة، التي هي عندهم في إفادة العلم مساوية للقرآن. وربما هذه هي نقطة الخلاف بين محمد الجابري، وأتباع محمد الهاشمي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال:" والآراء فيها مختلفة، وكلها تراث لنا". إن الخلاف المعتبر هو الذي لا يمس الثوابت ويبقى دائراً في فلكها وهو اختلاف التنوع، أما ما يرد وفيه مساس بما ثبت بالسنة فغير معتبر، وليس تراثاً لنا نحن المسلمين، ولا أظن الجابري حاطب ليل يقبل كل ما يسمعه دون تمحيص، وهو الأستاذ الدكتور حتى يرد المتحقق الثبوت، بغيره لأن كله وارد من الأقدمين ــ على حد قوله. ثم إن التراث

كلمة تدل على الأصالة من جهة، وعلى البالي من جهة أخرى، والحداثيون على المعنى الثاني، فهل قصد الجابري هذا المعنى!؟.

قال:" وما روي بشأن الإسراء ...." إلخ. إن ما رواه الصحابة وتناقله الأثبات في معجزة الإسراء والمعراج، لا يماري فيه مسلم، لثبوته بالقرآن و بالسنة بإجماع الأمة، لكن الجابري نفاها عن بكرة أبيه.

أما ما روي عن بعض الصحابة من معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم، هي ثابتة نقلا وتقبلها العلماء، فلا يملك أحدٌ ردها إلا أن يكون منكرا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعتبرها وحياً، بمعنى أنه لا يأخذ إلا بالقرآن.

إن الأمة الإسلامية مطبقة على تلقي كتابي البخاري ومسلم بالقبول[1]،

ومن ينكر ما جاء فيهما من أحاديث ثابتة بناءً من عقله، فكأنما أنكر القرآن الكريم، ومعلوم أن المنكر للقرآن لا يعتبر مسلماً بعد إنكاره. فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول:« أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ وَلاَ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِىَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ »[2].

المسألة الأولى : معجزة إنشقاق القمر

قال"من ذلك ما قيل في تفسير قوله تعالى«اقتربت الساعة وانشق القمر» وما روي بشأن الإسراء والمعراج. هذه الأمور ناقشها القدماء من العلماء والمفسرين، والآراء فيها مختلفة، وهي كلها تراث لنا، فمن حقنا بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا".

يوهم كلام الجابري أن الخلاف معتبر، والصواب أنه مع وجود هذا الخلاف فإن تفسير الآية وفق ما ورد فيها من أخبار ثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم، فمعجزة انشقاق القمر حصلت في زمن النبي صلى الله عليه و سلم فقد أخرج

(١) انظر الشذا الفياح، برهان الدين أبو إسحاق٦٦.

(٢) أخرجه أبو داود، السنن،كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وقم ٤٦٠٦ وقال الألباني صحيح.

البخاري في صحيحه [1] ومسلم وغيره ،وسأكتفي بما أخرجه الإمام البخاري قال:"عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشهدوا) وقال:" وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه و سلم، وقال"عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر"

وهذا ما اعتمد عليه شيخ المفسرين الطبري قال:" وقوله(وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل[2]..

وبمثل ما قال الطبري قال المحققون من أهل العلم، قديماً وحديثاً، وليت المقام كان مناسباً فأعرض كل هذه الأقوال، أما الجابري فإنه لا يعتد بكلام المحققين من العلماء، ويساويه بكلام غيرهم، ويعتبر أن ذلك كله تراث ينتقي منه ما وافق العقل!.

قال ابن عاشور:" وجمهورُ المفسرين على أن هذه الآية نزلت شاهدة على المشركين بظهور آية كبرى ومعجزة من معجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي معجزة انشقاق القمر . ففي (صحيح البخاري) و (جامع الترمذي) عن أنس بن مالك قال: (سأل أهل مكة النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر) . زاد الترمذي عنه (فانشق القمر بمكة فرقتين ، فنزلت : (اقتربت الساعة وانشق القمر) إلى قوله: (سحر مستمر) (القمر : ٢) .

(١) البخاري، الصحيح كتاب التفسير باب ﴿وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا﴾ حديث رقم٤٥٨٣ و٤٥٨٤ و٤٥٨٦

(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير أبو جعفر الطبري،٥٦٥/٢٢

أما الخلاف فيها فهو ليس في وقوعها، وليس في ثبوتها، كما أوهم الجابري، بأن عزاها إلى الرواة. إنما الخلاف في نزول الآية قبل الحادثة أو بعدها، وينبني على هذا أنها لم تحصل وسيحصل في المستقبل، والتحقيق أن نزولها بعد حادثة انشقاق القمر، كما ورد في الصحيح.

قال ابن عاشور:"وظاهر بعض الروايات لحديث ابن مسعود عند الترمذي أن الآية نزلت قبل حصول انشقاق القمر الواقع بمكة لمّا سأل المشركون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آية أو سألوه انشقاق القمر فأراهم انشقاق القمر وإنما هو انشقاق يحصل عند حلول الساعة . وروي هذا عن الحسن وعطاء وهو المعبر عنه بالخسوف في سورة القيامة (٧ ، ٨)) فإذا برق البصر وخسف القمر الآية .

وهذا لا ينافي وقوع انشقاق القمر الذي سأله المشركون ولكنه غير المراد في هذه الآية لكنه مؤوّل بما في روايته عتد غير الترمذي. ولحديث أنس بن مالك أن الآية نزلت بعد انشقاق القمر.

وعلى جميع تلك الروايات فانشقاق القمر الذي هو معجزة حصل في الدنيا .

وفي البخاري (عن ابن مسعود أنه قال : (خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقَمر والدخان [1].

وقال:" وفي رواية الترمذي عن ابن مسعود قال : (بينما نحن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمنَى فانشق القمر [2].

وظاهره أن ذلك في موسم الحج . وفي (سيرة الحلبي) كان ذلك ليلة أربع عشرة (أي في آخر ليالي منى ليلة النفْر). وفيها (اجتمع المشركون بمنى وفيهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، والعاصي بن وائل ، والعاصي بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث فسألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) إن كنتَ صادقاً فشُقّ لنا القمر فرقتين فانشق القمر)

(١) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير،باب ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾رقم٤٤٨٩، وباب ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾رقم٤٥٤٨.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر رقم٣٢٨٥.

والعمدة في هذا التأويل على حديث عبد الله بن مسعود في (الصحيح) قال : (انشق القمر ونحن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) بِمنى فانشق فرقتين فرقةً فوق الجَبل وفرقة دونه فقال لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (اشهدوا اشهَدوا). زاد في رواية الترمذي عنه (يعني) (اقتربت الساعة وانشق القمر). قلت : وعن ابن عباس نصفٌ على أبي قُبيس ونصفٌ على قُعَيقِعَان .

وروي مثله عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وحذيفةَ بن اليمان وأنس بن مالك وجبير بن مطعم ، وهؤلاء لم يشهدوا انشقاق القمر لأن من عدا علياً وابن عباس وابنَ عمر لم يكونوا بمكة ولم يسلموا إلا بعد الهجرة ولكنهم ما تكلموا إلا عن يقين. وكثرة رواة هذا الخبر تدل على أنه كان خبراً مستفيضاً "[1].

وقد أنكر الجابري أن تكون حادثة انشقاق القمر قد حدثت وأنها معجزة، بناءً على أنه لم تنزل آيات أخرى تؤكدها، مرجحاً أن ما حدث كان خسوفاً قال:" كما ورد ذلك في رواية ابن عباس"، راداً كل ما ورد من أحاديث صحيحة عن عدد من الصحابة منهم ابن عباس، ورادا لأقوال العلماء في ذلك المتقدمين منهم والمتأخرين، كل هذا لأنه يرى أنها "تتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا".

أما نحن فنقول له يكفينا لنؤمن بها ورودها في صحيحي البخاري ومسلم، ولا نحتاج إلى آية أخرى توضحها، إنما جاءت السنة مبينة للقرآن الكريم، فقد قال تعالى « وأقيموا الصلاة» ولم يبين بها ولا بآية أخرى، أوقات الصلوات وعدد الركعات. وجاء ذلك كله في أخبار ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك الحال والقول في انشقاق القمر أنه حصل في زمن النبي لورود خبر ثابت بذلك. فهو من قبيل خرق العادة. وكذا القول بالإسراء والمعراج.

قال وهي كلها تراث لنا، ومن حقنا بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل، ومعطيات العلم في عصرنا"

هنا صرح الجابري بأنه سار على نهج الحداثيين، الذين لا يعترفون بالأثر ويطبقون على القرآن الكريم فهماً جديداً عارٍ عن أصول التفسير المعتبرة.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٧/ ١٦٥.

مع ملاحظة أنه خلط بين السنة الثابتة بالنقل الصحيح، ونتاج العلماء والمفسرين، واعتبر ذلك كله تراثاً ينتقي منه ما يتوافق مع مبادئ العقل ومعطيات العلم المعاصر.

قال الجابري:" ومن المفسرين من قال إن ما حدث هو خسوف القمر أو شيء يشبهه، وقد نسبت إلى ابن عباس إقوال متضاربة في هذا الموضوع منها قوله: « كسف القمر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقالوا: سحر القمر فنزلت ﴿اقتربت الساعة﴾. وقد استند ابن عاشور في تفسيره إلى هذا فقال: «فيجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لا حت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين»".

قد جمع العلماء بين الروايات المستفيضة في معجزة انشقاق القمر، ورواية ابن عباس الأخرى، بحمل الكسوف في هذا الخبر على الانشقاق ولا يوجد تضارب كما وصف الجابري.

عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: سحر القمر فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى قوله ﴿مستمر﴾"[1].

قال الألوسي معلقاً على رواية ابن عباس :" ولا ضرورة إلى حمل الكسوف في هذا الخبر على الانشقاق إذ لا مانع كما في البداية والنهاية أن يكون قد حصل للقمر مع انشقاقه كسوف[2]

في رواية ابن عباس قال" كسف القمر" ولم يقل خسف، وقد أشار في الظلال أنهما بمعنى واحد. "في معظم الروايات أنه انشق فلقتين ، وفي رواية واحدة أنه كسف (أي خسف) . فالحادث ثابت من هذه الروايات المتواترة المحددة للمكان والزمان والهيئة"[3].

قال الجابري:" اما نحن فنرى أن عدم نزول آيات أخرى تؤكد «انشقاق القمر»

(١) الطبراني المعجم الكبير ، العشرة المبشرين بالجنة/أحاديث عبد الله بن العباس.رقم ١١٦٦٨
(٢) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الحسيني الألوسي
(٣) سيد قطب، الظلال تفسير سورة القمر٦ /٣٤٢٦.

دليل أن ما حدث

لم يكن من قبيل خرق العادة. فلو كان الأمر استجابة لطلب قريش، كما ذكرت الروايات لكان في القرآن ما يفيد ذلك".

ولا نعجب من جرأة الجابري، أن أنكر أنها معجزة، لأنا نجد أن أصول هذه الفكرة موجودة عند سيد قطب، الذي أراد ــ رحمه الله ــ

أن يخرج من إشكال أن " هذه الرواية تصطدم مع مفهوم نص قرآني مدلوله أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يرسل بخوارق من نوع الخوارق التي جاءت مع الرسل قبله ، لسبب معين : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾[1]. فمفهوم هذه الآية أن حكمة الله اقتضت منع الآيات – أي الخوارق – لما كان من تكذيب الأولين بها وفي كل مناسبة طلب المشركون آية من الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان الرد يفيد أن هذا الأمر خارج عن حدود وظيفته ، وأنه ليس إلا بشراً رسولاً . وكان يردهم إلى القرآن يتحداهم به بوصفه معجزة هذا الدين الوحيدة .... فالقول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين آية – أي خارقة – يبدو بعيداً عن مفهوم النصوص القرآنية؛ وعن اتجاه هذه الرسالة الأخيرة إلى مخاطبة القلب البشري بالقرآن وحده ، وما فيه من إعجاز ظاهر؛ ثم توجيه هذا القلب – عن طريق القرآن – إلى آيات الله القائمة في الأنفس والآفاق ، وفي أحداث التاريخ سواء . . فأما ما وقع فعلاً للرسول – صلى الله عليه وسلم – من خوارق شهدت بها روايات صحيحة فكان إكراماً من الله لعبده ، لا دليلاً لإثبات رسالته" .[2] .

ولست في مقام الرد على فكرة سيد، ولا أساوي بينه وبين الجابري، لكنه بقوله السابق أنكر أن يكون انشقاق القمر معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لإثبات رسالته، وعدها إكراماً، لأنه أراد رحمه الله أن يجمع بين إثبات وقوعها ومفاد الآيات التي استشهد بها على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسل بمعجزات حسية، وإن كنت لا أرى تعارضا، لكن أتساءل وقد حدد العلماء معنى المعجزة

(١) الإسراء (٥٩).

(٢) انظر سيد قطب، الظلال تفسير سورة القمر ٦/٣٤٢٦وما بعدها.

وعلام تنطبق، ماذا نسمي ما حصل بالنقل الثابت من انشقاق للقمر وهو خارق للعادة، مقرون بالتحدي، غير أن نقول أنه معجزة، وهذا ما قاله الجلة من المحققين من أهل العلم قديماً وحديثاً.

قال ابن العثيمين:"انشق القمر بلحظة بأمر الله – عز وجل – وتباعدت أجزاؤه بلحظة، لأن قريشاً كانوا يتحدون الرسول عليه الصلاة والسلام ويطلبون منه الآيات، وقد قال الله ردًّا عليهم: ﴿قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ لكن لم يكفهم، لأنهم معاندون لا يريدون الحق، أتوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قالوا: يا محمد أنت تقول إنك رسول، وإنك يأتيك الخبر من السماء وكذا وكذا فأرنا آية، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ودعا ربه فانفلق فرقتين بلحظة ، ومن يفلق هذا الجسم العظيم الأفقي العالي إلا رب العالمين – عز وجل –؟! أراهم إياه، ولكن لم ينفعهم، وقالوا: سحرنا محمد، وبعضهم قال: سحر القمر، وأنكروا، فقال بعضهم لبعض: اسألوا المسافرين إذا قدموا هل رأوه أم لا؟ فصاروا يسألون المسافرين من كل وجه: هل رأوه أم لا؟ فيقولون: نعم، رأيناه في الليلة الفلانية كذا وكذا، وهذا بالنسبة للقريبين منهم كأهل الجزيرة مثلاً، أما البعيدون فقد لا يرونه، وكما نعلم الآن أن الليل هنا يكون نهاراً في مكان آخر، أو لوجود غيوم وضباب كثير يمنع الرؤيا؛ ولهذا لا يمكن أبداً لأي عاقل أن ينكر انشقاق القمر انشقاقاً حسيًّا... ، ونحن نؤمن بأن القادر على أن يطوي السماوات بيمينه كطي السجل للكتب، قادر على أن يفرق القمر فرقتين، ولا شيء يعجزه، ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ﴾ ولهذا لا وجه لإنكار من أنكر ذلك ممن ينتسبون إلى الإسلام، ويقولون: إن الأفلاك السماوية لا يمكن أن تتغير، نقول: الله أكبر، مَن الذي خلق الأفلاك السماوية أليس الله؟ بلى، إذن هو قادر على أن يغيرها ﴿إنما أمره إذآ أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾، فانشقاق القمر انشقاق حسي، انفلق فرقتين، ورآه الناس وشاهدوه، ولكن المكابر المعاند لا يقبل شيئاً، ولهذا قال: ﴿وإن يروا آيةً يعرضوا﴾ ﴿آيةً﴾ نكرة في سياق الشرط، أي آية يرونها يعرضون عنها ولا يقبلونها، ويجمعون بين الإعراض وبين الإنكار باللسان، ﴿يعرضوا﴾ أي:

بقلوبهم وأبدانهم، ويقولوا بألسنتهم: ﴿سحر مستمر﴾، أي: هذا سحر"[1]

قال الجابري:" وقد استند ابن عاشور في تفسيره إلى هذا فقال : «فيجور أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لا حت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين»".

أوهم الجابري أن ابن عاشور ينكر حدوث انشقاق القمر ــ سبق بيان قوله ــ وأنه يتأول ذلك بظاهرة طبيعية، لكن الواقع خلاف ذلك.

قال ابن عاشور:" وإذ قد حمل معظم السلف من المفسرين ومن خلفهم هذه الآية على أن انشقاق القمر حصل قبل نزولها أو بقرب نزولها فبنا أن نبين إمكان حصول هذا الانشقاق مسايرين للاحتمالات الناشئة عن روايات الخبر عن الانشقاق إبطالاً لجحد الملحدين ، وتقريباً لفهم المصدقين"[2]، فهو إنما أراد أن يساير الاحتمالات الواردة على رواية ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ التي يستغلها أمثال الجابري لإنكار آية عظمى ثابتة الوقوع، لكن الجابري اقتطع من كلام ابن عاشور ما يخدم مقصده، مدلساً على القارئ حقيقة رأيه قال ابن عاشور :"وخبر انشقاق القمر معدود في مباحث المعجزات من كتب (السيرة) و (دلائل النبوة) .وليس لفظ هذه الآية صريحاً في وقوعه ولكن ظاهر الآية يقتضيه كما... فجعلت تلك المعجزة وسيلة للتذكير باقتراب الساعة"[3]. فهذه الاحتمالات التي أوردها لا تخرج الخبر عن كونه أخبر بمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عاشور:" يجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين ، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لمرأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق.

ويجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار

(١) انظر تفسير العلامة محمد العثيمين ،محمد بن صالح العثيمين١٢/١-٢.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير١٦٨/٢٧
(٣) انظر المصدر السابق والصفحة.

ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخسوف الجُزئيّ ، وليس في لفظ أحاديث أنس بن مالك عند مسلم والترمذي ، وابن مسعود وابن عباس عند البخاري ما يناكد هذا.

ومن الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثاً مركباً من خسوف نصفي في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر ، والقمر على سمت أحد الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذ سحاب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسُوفاً بحيث يخاله الناظر نصفاً آخر من القمر دون كسوف طالعاً على جهة ذلك الجبل ، وهذا من غرائب حوادث الجوّ . وقد عُرفت حوادث من هذا القبيل بالنسبة لأشعة الشمس ، ويجوز أن يحدث مثلها بالنسبة لضوء القمر على أنه نادر جداً. ويؤيد هذا ما أخرجه الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله فقالوا: سحر القمر فنزلت اقتربت الساعة.. الآية فسماه ابن عباس كسوفاً تقريباً لنوعه"[1] .

مع هذه التأويلات التي في ظن الباحث أنه لا داعي لها، لان استفاضة الروايات المخبرة بانشقاق القمر وتصريحها في ذلك، مقابل رواية واحدة يمكن حملها على الروايات الأخرى درن تكلف، كما بين ذلك العلماء ــ سبق الإشارة إليه ــ أغنى عن التأول وإن كان مستساغاً، حتى لا يتذرع به الطاعنون.

ومع ذلك فإن ابن عاشور بعد ذكره هذه التأويلات، لم يخرجها على عن كونها معجزة.

فتابع ــ رحمه الله ــ يقال:"وهذا الوجه لا ينافي كون الانشقاق معجزة لأن حصوله في وقت سؤالهم من النبي (صلى الله عليه وسلم) آيةً وإلهام الله إياهم أن يسألوا ذلك في حين تقدير الله كاف في كونه آيةً صدق . أو لأن الوحي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يتحدّاهم به قبلَ حصوله دليل على أنه مرسل من الله إذ لا قبل للرسول (صلى الله عليه وسلم) بمعرفة أوقات ظواهر التغيرات للكواكب . وبهذا الوجه يظهر اختصاص ظهور ذلك بمكة دون غيرها من العالم ، وإما على الوجه الأول فإنما لم يَشعُر به غيرُ أهل مكة من أهل الأرض لأنهم لم يكونوا متأهبين إليه إذ كان ذلك ليلاً وهو وقت غفلة أو نوم ولأن القمر ليس ظهوره في حد

(١) انظر المصدر السابق.

واحد لأهل الأرض فإن مواقيت طلوعه تختلف باختلاف البلدان في ساعات الليل والنهار " [1].

المسألة الثانية : معجزة الإسراء والمعراج

ثم تابع الجابري ليخوض في معجزة أخرى فقال:" وما روي بشأن الإسراء والمعـــراج فهو من قبيل مسألة «انشقاق القمر» مسألة الإسراء والمعراج. وما يجب التنبيه إليه ابتداء في هذه المسألة هو أن المعراج لم يرد ذكره في القرآن في القرآن وإنما ذكر الإسراء وحده في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾".

يصرح الجابري أنه كما أنكر معجزة انشقاق القمر ينكر معجزة الإسراء والمعراج، وقد سماها هنا مسائل، ثم قال بأن المعراج لم يذكر بالقرآن الكريم، وهذا غير صحيح على التحقيق، فقد ذكر المعراج في سورة النجم.

قال ابن العثيمين:" ثم قال الله تبارك وتعالى في قصة المعراج: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ اعلم أيها الأخ المسلم أن للنبي صلى الله عليه وسلم إسراءً ومعراجاً، فالإسراء ذكره الله في سورة الإسراء. والمعراج ذكره الله في سورة النجم وكلاهما في ليلة واحدة"[2].

ثم قال الجابري:" وقد اختلف الرواة في كيفية حدوثه: هل حدث في المنام(رؤيا) أم حدث في اليقظة؟ والظاهر من الروايات الأساسية في الموضوع أن ذلك حصل في المنام"، فهذا تأكيد منه على الأخذ بالروايات الدالة على حصولها في المنام ، رغم أن هناك خلافاً بين العلماء على كيفية حدوثها هل كان في المنام أم في اليقظة، إلا أن رأي المحققين أنها باليقظة، لا كما دلس الجابري وقال" والظاهر من الروايات الأساسية.. أن ذلك حصل بالمنام" ويكفي المسلم المتبع أن يعلم أن رأي البخاري الذي نقل الروايات المعتمدة أنها رُؤْيَا عَيْنٌ. وليس المقام متسع لمناقشة أدلة كل فريق، وسأذكر فقط ما يجلي شبه الجابري.

إنما أراد الجابري من إثارة هذه المسألة أن يثبت أن الإسراء والمعراج ليست

(١) ابن عاشور التحرير والتنوير ١٧٠/٢٧ .

(٢) تفسير العلامة محمد العثيمين،محمد بن صالح العثيمين ٣/١١

معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنّا له ذلك، فهي معجزة ثابتة نقلاً وعقلاً وتؤكدها اللغة.

قال فاضل السامرائي:" فأوحى إلى عبده ما أوحى: تستخدم كلمة (عبد) على مجموع الجسد والروح وهنا إثبات على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد وإلا فأين المعجزة! ولو كان بالروح فقط لما كذّبه الكفار فهم عرفوا وتأكدوا أن الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً"[1]

قال محمد رشيد رضا:" نَقُولُ : وَلَكِنَّ اللهَ – تَعَالَى – سَمَّاهَا (رُؤْيَا) لاَ " رُؤْيَةً " وَالتَّحْقِيقُ الْمُخْتَارُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي حَالَةٍ رُوحِيَّةٍ قَوِيَ فِيهَا سُلْطَانُ الرُّوحِ عَلَى سُنَنِ اللهِ فِي الْجَسَدِ فَصَارَ خَفِيفًا لَطِيفًا كَالْأَجْسَامِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ، وَتَمَثَّلَ فِيهَا الرُّوحُ لِلسَّيِّدَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لاَ بِالرُّوحِ فَقَطْ كَمَا قِيلَ ، وَلاَ فِي الْمَنَامِ كَمَا فِي رِوَايَةِ شَرِيكٍ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، وَهُوَ يَتَّفِقُ مَعَ قَوْلِ مَنْ قَالُوا إِنَّهُمَا بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ ؛ إِذْ إِطْلَاقُهُمْ لاَ يُنَافِي هَذَا الْقَيْدَ. عند تفسير الأعراف ١٤٤.

قال أبو حيان الأندلسي:" وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم : قصة الإسراء والمعراج عياناً آمن به الموفقون وكفر به المخذولون ، وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام"[2].

قال سيد قطب:" والراجح من مجموع الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك فراشه في بيت أم هانئ إلى المسجد فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أسري به وعرج . ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد .

على أننا لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم ، وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة [3].

(١) فاضل السامرائي، لمسات بيانية ٥٤/١.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٥٢/٦.

(٣) سيد قطب، الظلال ٢٢١٠/٤ وما بعدها.

قال الجابري:" ويمكن أن نعزز هذا الترجيح بكون القرآن تعرض في سورة الإسراء نفسها إلى جملة من تحديات قريش، منها قولهم في الآية السابقة: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ ﴿أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾ فكان جواب القرآن: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾، بمعنى أن طبيعتي البشرية لا تسمح لي بالرقي إلى السماء.

إن الجابري يجتزئ من معاني الآيات ما يخدم غرضه ولا يعنيه أن يفسد المعنى الكلي للآية، لكن الصواب من معنى هذه الآية " أَنِّي رَسُولٌ أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ إِلَيْكُمْ ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ أَقَامَ الدَّلَالَةَ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ فِي الرِّسَالَةِ بِإِظْهَارِ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، فَبَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ مِنْ بَابِ التَّحَكُّمِ وَذَلِكَ لَيْسَ فِي وُسْعِي"[1].

يحاول الجابري أن يبطل معجزة الإسراء والمعراج كون محمد صلى الله عليه وسلم لا يقدر عليها بطبيعته، لكنه بذلك أثبت أنها معجزة لأنه لا يقدر عليها غير الله جل وعز. فالمعجزة في أنه يصعد بقدرة الله التي تتجاوز به طبيعته البشرية فعندما لقنه ربه سبحانه أن يقول«قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً»الإسراء (٩٣) فهذا دليل أنه عندما عرج إلى السماء كان ذلك بقدرة ربه سبحانه، تأييداً وتسرية له، ولم يكن ذلك بطلب منه لذلك قال سبحانه«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» الإسراء (١)، نسب سبحانه الفعل المعجز، وهو الإسراء إلى نفسه كذا في المعراج.

قال:" هذا عن الإسراء. أما المعراج (وهو صعوده صلى الله عليه وسلم) من بيت المقدس إلى السماء العليا) فقد ورد ذكره وتفصيله في الحديث، في البخاري ومسلم وغيرهما. وقد اختلف الرواة والمفسرون هل حدث المعراج بالروح وحده أم بالروح والجسد، مثل اختلافهم في الإسراء. والقول بالمعراج بالجسد يطرح عدة قضايا منها مسألة الرؤية: رؤية الله رؤية بصرية، وهذا لا يمكن إلا مع الأجسام،

(١) رشيد رضا، المنار ١٠٦/٧.

والله منزه عن الجسمية".

سبق القول إن المعراج ذكر في سورة النجم، إضافة إلى أنه وارد في الصحيحين، والتحقيق أنه حدث بالروح والجسد، كالإسراء[1].

قال ابن العثيمين:" وهذا شيء حقيقي هو بنفسه عليه الصلاة والسلام صعد، ولهذا لما جاء وحدث الناس من الغد أنكرته قريش، لأنها تنكر ما لا يمكن في عقلها، وإنكار ما لا يمكن في العقل ليس خاصًّا بكفار قريش حتى فيمن ينتسب إلى هذه الأمة أنكروا من صفات الله ما أثبته الله لنفسه، لأنه على زعمهم لا يمكن في العقل، فقريش أنكرت هذا المعراج: ولو كان مناماً لم تنكره قريش، لأن المنامات يكون فيها مثل هذا، لكنه أمر حسي حقيقي أسري بالرسول عليه الصلاة والسلام بجسده وعُرج به في ليلة واحدة، وحصلت كل هذه الأمور ثم عاد إلى الأرض وصلى الفجر في مكة عليه الصلاة والسلام[2].

ثم أن الجابري ألزم بما لا يلزم إذ قال "فإذا قلنا إن المعراج كان بالجسم فإن ذلك يعني أن الرسول رأى الله رؤية بصرية" ولا يلزم ذلك فالمحققون بعد أن قالوا أنه عليه الصلاة والسلام عرج بجسده، لم يقولوا أنه رأى ربه، وهذا لا يكون إلا مع الأجسام والله منزه عن الجسمية".

" ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[3] رآه الفاعل محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمفعول به جبريل، أي رأى محمدٌ جبريلَ ﴿نزلةً أخرى ﴾، أي: مرة أخرى حين نزل، والمرة الأولى رأى الرسولُ عليه الصلاة والسلام جبريلَ وهو في غار حراء، رآه على خلقته التي كان عليها، رآه وله ستمائة جناح قد سد الأفق،... ﴿عند سدرة المنتهى ﴾، أي رآه عند السدرة، والسدرة شجرة معروفة في الأرض، لكن السدرة التي في السماء السابعة ليست كصفة السدرة التي في الدنيا"[4].

(١) ما ذكرت من أدلة في هذا للإسراء جاء أيضا للمعراج

(٢) تفسير العلامة محمد العثيمين ٨/١١

(٣) النجم(١٣)

(٤) تفسير العلامة محمد العثيمين ٥/١١

والله منزه عن الجسمية".

سبق القول إن المعراج ذكر في سورة النجم، إضافة إلى أنه وارد في الصحيحين، والتحقيق أنه حدث بالروح والجسد، كالإسراء[1].

قال ابن العثيمين:" وهذا شيء حقيقي هو بنفسه عليه الصلاة والسلام صعد، ولهذا لما جاء وحدث الناس من الغد أنكرته قريش، لأنها تنكر ما لا يمكن في عقلها، وإنكار ما لا يمكن في العقل ليس خاصًّا بكفار قريش حتى فيمن ينتسب إلى هذه الأمة أنكروا من صفات الله ما أثبته الله لنفسه، لأنه على زعمهم لا يمكن في العقل، فقريش أنكرت هذا المعراج: ولو كان مناماً لم تنكره قريش، لأن المنامات يكون فيها مثل هذا، لكنه أمر حسي حقيقي أسري بالرسول عليه الصلاة والسلام بجسده وعُرج به في ليلة واحدة، وحصلت كل هذه الأمور ثم عاد إلى الأرض وصلى الفجر في مكة عليه الصلاة والسلام[2].

ثم أن الجابري ألزم بما لا يلزم إذ قال "فإذا قلنا إن المعراج كان بالجسم فإن ذلك يعني أن الرسول رأى الله رؤية بصرية" ولا يلزم ذلك فالمحققون بعد أن قالوا أنه عليه الصلاة والسلام عرج بجسده، لم يقولوا أنه رأى ربه، وهذا لا يكون إلا مع الأجسام والله منزه عن الجسمية".

" ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[3] رآه الفاعل محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمفعول به جبريل، أي رأى محمدٌ جبريلَ ﴿نزلةً أخرى ﴾، أي: مرة أخرى حين نزل، والمرة الأولى رأى الرسولُ عليه الصلاة والسلام جبريلَ وهو في غار حراء، رآه على خلقته التي كان عليها، رآه وله ستمائة جناح قد سد الأفق،... ﴿عند سدرة المنتهى ﴾، أي رآه عند السدرة، والسدرة شجرة معروفة في الأرض، لكن السدرة التي في السماء السابعة ليست كصفة السدرة التي في الدنيا"[4].

(١) ما ذكرت من أدلة في هذا للإسراء جاء أيضا للمعراج

(٢) تفسير العلامة محمد العثيمين ٨/١١

(٣) النجم(١٣)

(٤) تفسير العلامة محمد العثيمين ٥/١١

من جهة أخرى فإن قدرة الله فوق كل قانون فيمكن أن يرى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وهو من أهل الدنيا بقدرة الله الذي عرج به إلى سدرة المنتهى، سبحانه.

ثم عقب الجابري بكلام أخطر من كلامه السابق كله قال:" الإسراء والمعراج إذا حدثا على صورة رؤيا منامية. ذلك هو الرأي الذي نختاره من آراء العلماء السابقين. ونحن لا نناقش ما يتم للأنبياء أثناء الرؤيا، إذا هو لهم وحي،...، وهو خاص بهم وليس خرقا لنظام الكون ولا مسا بسننه".

أولا: نسأله ما هي أسس اختياره، ونجيب عنه أنه انتقى بما يتوافق مع معطيات عقله الحضاري! الذي لا يقتنع بالمعجزات، ويعدها خرافات،

وسبق بيان أن ما رجحه مرجوح، والأمة على خلافه، ثم إن منهجه إيديولوجيا[1]، يسهب في سوق المقدمات ليثبت في النهاية ما هو مقرر عنده سابقاً، ومعلوم أن هذا لا يعتبر منهجاً محايداً، وبالتالي تكون نتائجه متحيزة.

ثانياً: وبعيداً عن معجزة الإسراء والمعراج وكل المعجزات، فرؤيا الأنبياء حق، ومعنية بها أممهم، وهي ملزمة لهم.

ثالثا: الأمر الخطير في هذه الأسطر ما قرره الجابري بأن ما يجري للأنبياء في المنام هو خاص بهم، وبما أنه يقول إن المعراج في المنام، ومعلوم أن الصلوات فرضت في معراجه عليه السلام وهو فوق السماء السابعة، وإذا فرضت في المنام، وما يحصل في المنام خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يعني أن الصلاة خاصة به، ولا تلزم الأمة، وإن كان الجابري لم يقل ذلك لكن هذه المقدمات يلزمها هذه النتيجة، لكنه سيقوله صراحة يوم يجد لكلامه هذا قبولاً.

ختم الجابري هذا الفصل بهذه الفقرة:" هناك روايات تحدثت عن أمور كثيرة نسبت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) على أنها معجزات له من النوع الخارق للعادة، وكلها أحاديث آحاد، ومعظمها من النوع الذي يتساهل فيه رجال الحديث لكونه يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي، وفي ما لا يتعلق به حكم، قال بعضهم: إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا

(١) سبق تعريفها.

من جهة أخرى فإن قدرة الله فوق كل قانون فيمكن أن يرى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وهو من أهل الدنيا بقدرة الله الذي عرج به إلى سدرة المنتهى، سبحانه.

ثم عقب الجابري بكلام أخطر من كلامه السابق كله قال:" الإسراء والمعراج إذا حدثا على صورة رؤيا منامية. ذلك هو الرأي الذي نختاره من آراء العلماء السابقين. ونحن لا نناقش ما يتم للأنبياء أثناء الرؤيا، إذا هو لهم وحي،...، وهو خاص بهم وليس خرقا لنظام الكون ولا مسا بسننه".

أولا: نسأله ما هي أسس اختياره، ونجيب عنه أنه انتقى بما يتوافق مع معطيات عقله الحضاري! الذي لا يقتنع بالمعجزات، ويعدها خرافات،

وسبق بيان أن ما رجحه مرجوح، والأمة على خلافه، ثم إن منهجه إيديولوجيا[1]، يسهب في سوق المقدمات ليثبت في النهاية ما هو مقرر عنده سابقاً، ومعلوم أن هذا لا يعتبر منهجاً محايداً، وبالتالي تكون نتائجه متحيزة.

ثانياً: وبعيداً عن معجزة الإسراء والمعراج وكل المعجزات، فرؤيا الأنبياء حق، ومعنية بها أممهم، وهي ملزمة لهم.

ثالثا: الأمر الخطير في هذه الأسطر ما قرره الجابري بأن ما يجري للأنبياء في المنام هو خاص بهم، وبما أنه يقول إن المعراج في المنام، ومعلوم أن الصلوات فرضت في معراجه عليه السلام وهو فوق السماء السابعة، وإذا فرضت في المنام، وما يحصل في المنام خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يعني أن الصلاة خاصة به، ولا تلزم الأمة، وإن كان الجابري لم يقل ذلك لكن هذه المقدمات يلزمها هذه النتيجة، لكنه سيقوله صراحة يوم يجد لكلامه هذا قبولاً.

ختم الجابري هذا الفصل بهذه الفقرة:" هناك روايات تحدثت عن أمور كثيرة نسبت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) على أنها معجزات له من النوع الخارق للعادة، وكلها أحاديث آحاد، ومعظمها من النوع الذي يتساهل فيه رجال الحديث لكونه يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي، وفي ما لا يتعلق به حكم، قال بعضهم: إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا

(١) سبق تعريفها.

في الأسانيد وتسامحنا في الرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال. والأحاديث المروية في هذا المجال ليس فيها أحكام".

قال معجزات من النوع الخارق للعادة، فهل هناك معجزات ليست بخارقة للعادة!!. قال وكلها أحاديث آحاد" لا أعلم ما أسمي دعواه هذه غير أن تكون افتآتاً، فمعجزة انشقاق القمر قال العلماء أنها مستفيضة، ومنهم من قال بتواترها. فكيف يقول كلها!!.

ثم ما الضير أن تكون آحاداً، وأخبار الآحاد عموماً تمثل معظم السنة، فلا فرق قي الاحتجاج بالخبر المتواتر والآحاد.

"فقضية الاحتجاج بخبر الواحد، قضية قديمة، إلا أن كثيراً من الكتاب يطرحونها في هذا العصر، ويعرضونها بطريقة توحي للقارئ بأن الأصل عدم قبولها، وإذا قبلت فبشروط وقيود. ويوظف الأعداء هذه الأقوال للتشكيك في السنة، والتقليل من أهميتها"[1].

أشار هنا إلى أنه لا يؤخذ بخبر الآحاد في العقائد،وهذا غير صحيح، وهي شبهة رائجة، قد أجاب عنها العلماء" فذهب بعضهم إلى انه لا تثبت العقيدة إلا بالدليل القطعي، بالآية أو الحديث المتواتر تواتراً حقيقياً، إن كان هذا الدليل لا يحتمل التأويل، وادعى أن هذا مما اتفق عليه عند علماء الأصول، وأن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، وأنها لا تثبت بها عقيدة! إن هذا القول ــ وإن قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام ــ فإنه منتقض من وجوه عديدة ..." [2].

ثم العلماء تشددوا في الأحكام والعقائد، لا كما ادعى من أنه فقط في الأحكام وتساهلوا في غيرها. " يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما. وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد. وممن روينا عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك

(١) محمد عويضة، حجية خبر الواحد٩

(٢) انظر وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، محمد ناصر الدين ٧.

عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل"[1].

يتضح المنهج التشكيكي الذي يتبعه الجابري في طرح المسائل الثابتة، ليغذي العقول الضعيفة، أو المفتونة التي تترقب صيداً لثوابت الدين، وفق منهج حادث يسمى بالحداثة التي هي زنيم[2] لا يعرف لها أصول شرعية.

فهؤلاء لا يناقشون في أُطر متفق عليها، بل يبدءون من نقاط لا تتوافق و مناهج العلماءَ في التعامل مع المسائل الشرعية، ورأس مالهم الضائعون من أبناء المسلمين الذين لا يعرفون أصولهم، واتخذوا من حضارة الغرب قدوة عظمى الوصول إليها حلمهم.

نتيجة الدراسة.

محمد الجابري حداثي، تميز بأسلوب خاص، يتمثل بحسن العرض البياني مع دقة الاستدلال، وهو نموذج لمنهج قائم، يسعى سعياً حثيثاً لترسيخ العلمنة في المجتمع الإسلامي، من خلال تشكيك الناس على مختلف المستويات في المجتمع الإسلامي بثوابتهم. والقضايا التي شكك فيها وناقشناه بها في ثنايا هذا البحث تتلخص فيما يأتي:

١- ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، وتغييب أقوال العلماء السابقين فيها وطرحها بأسلوب يجعل منها الحل الأمثل للدعوة إلى الله تعالى.

٢- قضية التحدي والإعجاز والخلط بينهما، وإحياء القول بالصرفة.

٣- قضية الأحرف السبة والقراءات، ولغة قريش، وإثارة الجدل حولها.

٤- معجزة انشقاق القمر، ومعجزة الإسراء والمعراج، والتشكيك في وقائعها وكيفياتها.

التوصيات:

- تجنيد علماء، يجلون مخطط الحداثيين، لتوعية أفراد الأمة ضد هذه الهجمة.

---

(١) انظر الشذا الفياح٢٣٣

(٢) سال رجل عكرمة عن الزنيم قال : هو ولد الزّنَا ؛ وتمثل ببيت شعر : زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغيّ الأم ذو حسب لئيم وعنه أيضا الزنيم : الدعي الفاحش اللئيم ثم قال : زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع، القرطبي، الجامع لأحكم القرآن١/٢٥.

- القيام بدراسة وافية لدراسات هؤلاء في كل المجالات، ومن ثَم معرفة مصدرهم الفكري، والرد على دراساتهم بمنهجية واحدة .

* * *

المصادر والمراجع

- إتقان البرهان في علوم القرآن، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس عمان٢٠٠١م ط٢.
- الإسراء والمعراج، للإمام محمد بن يوسف الشاميت٩٤٢هـ،تحقيق: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط٢٠٠٣،١، بيروت
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز بديع الزمان سعيد النّورسي تحقيق / إحسان قاسم الصالحي تقديم/الدكتور محسن عبد الحميد أستاذ التفسير والفكر الإسلامي جامعة بغداد،الشاملة.
- إعجاز القرآن أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم تحقيق: السيد أحمد صقر دار المعارف – القاهرة
- إعجاز القرآن الكريم، أد. فضل حسن عباس، دار الفرقان ط٦، ٢٠٠٦، عمان.
- الإعجاز اللغوي والبياني علي بن نايف الشحود، الشاملة.
- آيات التحدي تاريخ نزولها وأسرار إعجازها،أد. شحادة العمري، مجلة أبحاث اليرموك العدد ١٥٥.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لأبي حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد الأنصاري النشار ت ٩٣٧هـ، تحقيق أحمد عيسى المعصراوي ط١ ٢٠٠٨م وزارة الأوقاف قطر
- البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
- التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، دار الحديث/ بيروت، ط٣، ١٩٨٩، بيروت.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن

كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،[٢٢٤ – ٣١٠ هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
- تفسير العلامة محمد العثيمين، الشاملة.
- الجامع لأحكام القرآن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) المحقق : هشام سمير البخاري دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تحقيق : د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٤
- حجية خبر الواحد، محمد عويضة،دار الفرقان، ط١، ١٩٩٩،عمان.
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار– صلى الله عليه وسلم، ابن البديع الشيباني الشافعي، تحقيق: عبدالله الأنصاري، وزارة الأوقاف قطر.
- الرسالة للأمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤، تحقيق: أحمد محمود شاكر، المكتبة العلمية، بيروت
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي مصدر الكتاب : موقع التفاسير
- الروض الأنف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي الروض الأنف الشاملة مصدر الكتاب : موقع الإسلام الكتاب .
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد محمد بن يوسف الصالحي الشامي سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ت٤٦٦هـ،
- سنن الترمذي الجامع الصحيح سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي – بيروت

- سيرة ابن هشام، ابن هشام، دار التراث العربي بيروت.
- شبهات حول نشأة التفسير،د. فضل عباس، وزارة الأوقاف، عمان ،ط١،١٩٨٣.
- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (المتوفى : ٨٠٢هـ) المحقق : صلاح فتحي هلل مكتبة الرشد الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
- صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- صحيح ابن حبان ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤٠٤
- صحيح مسلم الجامع الصحيح المسمى أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة — بيروت
- العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ محمود توفيق محمد الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـالقاهرة الشاملة .
- غاية المقصد في زوائد المسند للحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، الشاملة.
- في ظلال سيد قطب، دار الشرق ط٣، بيروت١٩٧٧م.
- لسان العرب، لإمام ابن منضور٧١١هـ، دار إحياء التراث العربي— بيروتط١٩٨٨،١م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي

(المتوفى : ١١٨٨هـ) مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق الطبعة : ٢،١٤٠٢ هـ
- مدخل إلى القرآن الكريم،د. محمد عابد الجابري،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط٢٠٠٦،١.
- المعجم الفلسفي المختصر، مكتبة اليرموك
- المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣
- معجم رائد الطلاب، جبران مسعود دار العلم للملايين، ط١٩٦٧،١ بيروت
- مقالتان في التأويل معالم في المنهج ورصد للانحراف،د.محمد أبو عاصي، دار البصائر،ط٢٠٠٣،١، القاهرة.
- مقدمة ابن خلدون، العلامة ابن خلدون، دار الهلال بيروت١٩٨٦
- الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق : محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت
- المنار،محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر : ١٩٩٠ م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث الغربي،بيروت١٩٩٥ط١.
- منجد المقرئين،ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ.، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، بيروت
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . المؤلف : الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف: د. مانع بن حماد الجهني الناشر : دار الندوة العالمية، الرياض ط٥/٢٠٠٣م.
- النشر في القراءات العشر،ابن الجزري
وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الكتبة الإسلامية، عمان،ط٢،١٤٢٢هـ.

الفهرس

الملخص ١٥
المقدمة ١٧
تمهيد ١٩
المبحث الأول: مسائل حول القرآن ٢٢
المطلب الأول: ترجمة القرآن ٢٢
المطلب الثاني: التحدي في القرآن الكريم الكبرى ٣٢
المبحث الثاني: الأحرف السبعة والقراءات ٤٣
المطلب الأول: القرآن الكريم ولغة قريش ٤٣
المطلب الثاني: نزول القرآن على سبعة أحرف ٤٨
المطلب الثالث: الأحرف السبعة غير القراءات السبع ٥١
المطلب الرابع: القراءات المتواترة والشاذة ٥٣
المبحث الثالث: الإعجاز والمعجزات ٥٥
المطلب الأول: نظريات في إعجاز القرآن ٥٥
المسألة الأولى: معجزة انشقاق القمر ٥٩
المسألة الثانية: معجزة الإسراء والمعراج ٦٨
نتيجة الدراسة ٧٤
التوصيات ٧٤
المصادر والمراجع ٧٦
الفهرس ٨٠

* * *